

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

محاضرات في مقياس مدخل إلى الفلسفة

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية

إعداد الدكتور: بوعلام معطر

السنة الدراسية: 2024-2025

فهرس الموضوعات

المحتوى.....	الصفحة.....
مقدمة.....	5.....
الفلسفة: نشأتها وأهميتها.....	7.....
الفلسفة: من الدلالة الاشتقاقية إلى الدلالة الاصطلاحية.....	14.....
خصائص التفكير الفلسفي.....	15.....
مباحث الفلسفة وقضاياها.....	18.....
الفلسفة وتجاوز التفكير الأسطوري.....	20.....
الفلسفة كتفكير منهجي.....	29.....
الفلسفة والثقافة والطبيعة.....	31.....
علاقة الفلسفة بالعلم.....	33.....
الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية.....	35.....
دور الفلسفة في تعقل الدين وترشيد السلوك الديني.....	38.....
العلاقة التفاعلية والتكاملية بين الفلسفة والدين.....	42.....
الفلسفة والحضارة.....	45.....
الفلسفة والتربية-جدلية الفكر والتكوين.....	48.....
الفلسفة وترشيد الفعل السياسي: دور الفلسفة في تكوين المجتمع المدني.....	52.....
الفلسفة والمواطنة الفلسفة وحقوق الإنسان.....	56.....
رهانات الفلسفة في المجتمعات العربية والإسلامية.....	60.....
خاتمة.....	64.....

مدخل إلى الفلسفة

محتوى المادة حسب عرض التكوين

الأساسي	الأول
عنوان الوحدة	وحدات التعليم الأساسية
المادة	مدخل إلى الفلسفة
الرصيد	5
المعامل	2
أهداف التعليم	(1) التمييز بين ضروب التفكير البشري وموضعة الفلسفة داخلها.
	(2) إدراك أهمية التفكير الفلسفي في بناء الحضارة
	(3) إدراك أهمية الفلسفة في البحث العلمي.
المعارف المسبقة المطلوبة	(1) تاريخ الحضارات و الشعوب (2) مسار تطور التفكير في الحضارات (3) تصنيف العلوم و المعارف
القدرات المكتسبة	(1) أن يكون قادرا على ممارسة التفكير المنهجي والنقد. (2) أن يكون قادر على المساهمة في الحوار والنقاش المنهجي

المنضبط (3) أن يكون قادر على استلزام القيم من المواقف والنظريات الفلسفية.	
(1) الفلسفة من الدلالة الاشتقاقية إلى الدلالات الاصطلاحية. (2) خصائص التفكير الفلسفي. (3) المباحث الأساسية للتفكير الفلسفي (4) الفلسفة و تجاوز التفكير الأسطوري (5) الفلسفة كتفكير منهجي عقلاني (6) الفلسفة و الثقافة و الطبيعة (7) الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية (8) التفكير الفلسفي والتفكير العلمي (9) دور الفلسفة في تعقل الدين و ترشيد السلوك الديني. (10) العلاقة التفاعلية والتكاملية بين الفلسفة والعلم. (11) الفلسفة والحضارة (12) الفلسفة والتربية (13) الفلسفة وترشيد الفعل السياسي. دور الفلسفة في تكوين	مفردات المادة (يجب أن يتضمن السداسي 15 مفردة تعليمية / درسا).

	المجتمع المدني. (14) الفلسفة والمواطنة الفلسفة و حقوق الإنسان. (15) رهانات الفلسفة في المجتمعات العربية والإسلامية
طريقة التقييم	متواصل + امتحان كتابي
المراجع:	(1) عزمي طه السيد احمد : الوجه الآخر للفلسفة - عالم الكتب الحديث - الأردن 2015 (2) البخاري حمانه : تأملات في الدنيا والدين - دارالقدس العربي 2012 (3) مصطفى النشار : التفكير الفلسفي - دار المصرية اللبنانية 2015 (4) زكريا إبراهيم مشكلة الفلسفة : مكتبة مصر - د ط (5) عبد الحفار مكاوي : مدرسة الحكمة - دار الكتاب العربي - القاهرة - د ط (6) هنترميد : الفلسفة انواعها ومشكلاتها - مكتبة مصر - القاهرة 1969

(7) رواد الميثالية في الفلسفة الغربية دار الثقافة للطباعة
والنشر

(8) لاقاهرة 1975

(9) احمد محمود صبحي , محمود فهمي زيدان في فلسفة
الطب دار لا معرفة الجامعية 1995

(10) محمد شطوطي المدخل إلى الفلسفة العامة دار
طليطة الجزائر 2009

(11) مصطفى محمود اينشتاين والنسبية

(12) محمد ثابت الفندي مع الفيلسوف دار المعرفة
الجامعية مصر 1998

(13) زكريا إبراهيم دراسات في الفلسفة المعاصرة :
مكتبة مصر 1968

(14) سالم يفوت فلسفة العام المعصرة ومفهومها للواقع
دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 1986

المحور الأول: الفلسفة، نشأتها، وأهميتها

مقدمة

على خلاف باقي العلوم، فإنّ الدّارس للفلسفة لا يمكنه أخذ فكرة عنها من خلال تعريفها في البداية، والاكتفاء بهذا التعريف دون الولوج إليها من الداخل؛ من خلال ظروف نشأتها، وكذا تطورها من حقبة زمنية ومكانية لحقبة أخرى، فكل إجابة فلسفية ارتبطت بسؤال محدّد، فمن المستحيل فك أي عقدة دون الإحاطة بها: "إنّ من يبحث دون أن يطرح المشكل أولاً شبيه بمن يمشي دون أن يعرف إلى أين هو ذاهب، بل وبصبح معرّضاً إلى أن لا يعرف ما إذا كان قد عثر على المطلوب أم لا في مرحلة ما من مراحل البحث"¹

على هذا الأساس وجب التساؤل: ما هي الظروف التي نشأت فيها الفلسفة ؟ ؟ ما هي بواعث التفلسف ؟

نشأة الفلسفة

أولاً- الفلسفة والحضارات الشرقية

قبل الحديث عن الفلسفة في بلاد اليونان، -باعتبارها المهد الذي نشأت وترعرعت فيه- من الضروري الإشارة إلى محطة هامة سبقت المرحلة اليونانية لخصّها شارل فرنر في كتابه "الفلسفة اليونانية" قائلاً "أنّ اليونانيون كانوا يدركون جيداً فضل حكمة الشرق عليهم. وكانوا يتحدثون باحترام كبير عن العلوم والحضارات الشرقية". والفكرة نفسها تقريباً أشار إليها المستشرق الفرنسي "بول ماسون أورسيل" في مقدمة كتاب "الفلسفة في الشرق" "لم يكن

¹ - Aristote, Métaphysique, Librairie J Vrin, P : 70.

التفكير في الغرب، وفي أي فترة تاريخية، منعزلا عن بقية أنحاء العالم، وقد آن الأوان لكي نضع حدا لاعتبارنا أنّ الحضارات (الهند-أوروبية) غريبة بعضها عن بعض وفي مقدمتها الحضارتين اليونانية والهندية"

ويظهر التأثير الشرقي على الخصوص في النظريات الدينية والأساطير المنتشرة في بلاد فارس والهند، والتي استوعبها اليونانيون، وظل الفكر اليوناني مكبلا بها مدة قرون ليتجاوزها فيما بعد، ويتخلص شيئا فشيئا من العناصر الأسطورية والدينية ويصل بالفلسفة إلى أوجها.

ثانيا- الفلسفة في المرحلة اليونانية وعوامل ظهورها:

1-عوامل ظهور التفلسف في بلاد اليونان

لقد انطلق العقل اليوناني في نشاطه من خلال التفكير الأسطوري، القائم على الخرافات، والارتباط الروحي الوثيق بين الأحداث وقرارات الآلهة، هذه الأخيرة قد تكون بشرية ممثلة في أشخاص، أو مادية كالكواكب والأشجار والمياه... وقد أسند لهذه الكائنات الطبيعية حياة روحية شبيهة بحياة الإنسان.

إلا أنّ العقل اليوناني تحرر لاحقا من سلطة هذه الذهنية السحرية، انطلاقا من التفكير في أصل الكون، مروراً بالبحث في مصدر الحقيقة، فاتحا بذلك أبواب التفلسف الراقى. وكان هذا تحت تأثير العوامل الآتية:

-الظروف الاقتصادية للمجتمع اليوناني والتي كانت نتيجة للتقسيم الطبقي القائم على نظام الإنتاج العبودي مما أفرز فئة اجتماعية متحررة من قيود الحاجة، وكان لها متسع من الوقت للعمل الذهني بما فيه الفلسفة.

-عوامل سياسية تتمثل على الخصوص في المدينة اليونانية؛ فالنظام السياسي اليوناني القائم على "فكرة الديمقراطية، والتي تضمن للأفراد حق المساواة أمام القانون من جهة. وكذا حرية التفكير والتعبير من جهة ثانية. فالبيئة القائمة على الحرية هي البيئة المؤهلة أكثر لنشأة التفلسف، يقول هيغل "ظهرت الفلسفة سيتوجب الوعي بالحرية، والشعب الذي تبدأ فيه الفلسفة يجب أن يعتمد الحرية كمبدأ له، وذلك مرتبط عمليا بازدهار الحرية الحقيقية ، ألا وهي الحرية السياسية".

2- **بذور التفلسف مع سقراط:** تعتبر مرحلة سقراط محطة هامة في تغيير مجرى التفكير نحو الانسان باعتباره المدار الجوهري لكل تفكير فلسفي، رافعا شعار "اعرف نفسك بنفسك"، وقد اقترنت مرحلة سقراط بازدهار النزعة السفسطائية. لقد كانت السفسطة تتمثل أساسا في ممارسة الخطاب، والذي يتطلب في نجاحه فن البلاغة وسحر الكلام لإقناع الخصم بالفكرة مهما كانت على حساب المنطق والعقل. لقد اصطدم الفيلسوف اليوناني -وعلى الخصوص سقراط ومن بعده أفلاطون وأرسطو- بالفكر السفسطائي من جهة، وبالموقف العامي من جهة أخرى، فهذا الأخير لا يقلّ خطورة عن الأول، فهو المكثفي بذاته، الواصل من نفسه والمقتنع بحقيقته.

في صراع الفيلسوف اليوناني على هاتين الجبهتين تظهر خصوصية التفكير الفلسفي كمحاولة لتخطي ملابسات الحياة اليومية إلى أمر أكثر قيمة. على هذا الأساس الفلسفة عموما هي عملية تأمل فكري وبحث منهجي مُنظّم في طبيعة الموجودات.

3- أرسطو والفلسفة: يعتبر أرسطو أنّ دواعي التفلسف تكمن في طبيعة الإنسان في حدّ ذاته، فهو يسعى دوماً لمعرفة كلّ ما يحيط به، لكن كثيراً ما يقف مندهشاً أمام عجزه عن إيجاد تفسيرات مُقنعة لما يدور حوله من ظواهر، على هذا الأساس يَعتبرُ أرسطو أنّ الدهشة هي المنطلق الأول نحو التفكير "إنّ الدهشة هي التي دفعت بالمفكرين الأوائل كما هو الأمر اليوم إلى النظر الفلسفي. في البداية انصبّت دهشتهم على الصعوبات التي مثلت في الذهن. ثمّ أنّهم بتقدّمهم على هذا النحو شيئاً فشيئاً سحبوا استطلاعاتهم على مشكلات أهمّ مثل الظواهر المتّصلة بالقمر وبالنجوم، وصولاً إلى نشأة الكون. غير أنّ المرء الذي يتبيّن صعوبة، ويندهش لها إنّما يعترف بجهله الخاص (لذلك حتى حبّ الأساطير كان من جهة ما، حبّاً للحكمة، فالأسطورة نسيج من العجائب)".

إنّ أكثر ما يجمع الفلاسفة على اختلاف مشاربهم هو محاولة تجاوز قيود العادات التي تكبّل تفكيرهم، ومن سيطرة الظواهر التي تحدّ من رؤيتهم. وهذه المحاولة تبرز سواء عند سقراط في طريقة التوليد، أو عند أفلاطون في محاولة سجين أسطورة الكهف والتحرر من ظلمات الجهل والعالم الحسي، أو عند أرسطو في التأسيس لعلم المنطق، أو عند الغزالي وديكارت في شكهما المنهجي في المعارف والمعتقدات القائمة بغية التأسيس لواقع معرفي جديد.

في أهمية الفلسفة

لا يمكن الفصل بين نشأة الفلسفة وأهميتها، فنفس دواعي بداية التفلسف كما ذكرها أرسطو، يُعيدّها برتراند راسل في حديثه عن أهمية الفلسفة، مع بعض الدوافع الجديدة المرتبطة بتطوّر العلم "إنّ أهمية الفلسفة متأتية من كونها تشدّ أنفسنا، أو إنّ شئت يقظتنا

الفكرية، لأنّ هناك قضايا خطيرة في الحياة، لا يستطيع العلم أن يعالجها، وأن يقول فيها كلمته، ولأنّ الرأي العلمي (...) ليس هو الرأي المناسب لتلك القضايا".¹

وبعد التطور العلمي المذهل أصبح دور الفلسفة أكثر من ضروري، فهي تعلّمنا التواضع الفكري، وبها تأكّدنا أن هناك مواضيع كانت في الماضي محل يقين علمي، لا يتطرق إليه الشك، ولكن تبين فيما بعد أنّ ذلك اليقين العلمي خطأ فادح. "إنّ اليقين العلمي لا يمكن أن نصل إليه عبر الطرق القصيرة، وبالوسائل المبتورة، إنّ الناس بدأوا يكتشفون أنّ عملية فهم العالم ليست سهلة، وهذه العملية هي الرسالة الأولى التي تهدف إليها الفلسفة، وسواء أردنا أن نستعمل العلم أو الفلسفة لهذا الفهم، فانه لا مناص لنا من أن نستغرق وقتاً طويلاً، وأنّ نتسلّح بفكر يبتعد عن روح اليقين والتصديق المتسرع".²

- في نفس السياق يعتبر الدكتور محمد عبد الرحمان مرحباً بأنّ الفلسفة ملتصقة بالكينونة الانسانية، إنّها أسلوب حياة، بها نسير في أفعالنا، ونواجه الحياة والطبيعة، ونسلك مع أصدقائنا وأعدائنا، وتحدد ارتباطاتنا وعلاقاتنا مع الأشياء والمجتمع: "الفلسفة بمعناها الواسع غير منفصلة عن الحياة، بل هي متصلة بها متفاعلة معها لا تنقطع عن التأثير فيها والتأثر بها، وإنّ الاهتمام بها هو من قبيل الاهتمام بالحياة وبالوجود الإنساني وبمصيره، فلئن كانت الفلسفة نظرة إجمالية إلى الكون وموقفاً فكرياً

- - برتراند راسل - (الفلسفة بنظرة علمية)¹
- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.²

معينا من الحياة وتجاربها، فإنّ هذه النظرة الإجمالية وهذا الموقف الفكري يؤثران بطبيعة الحال في تصرفاتنا وأعمالنا وفي معالجتها للحوادث وتوجيهنا لها"¹.

- يعتقد الاتجاه المنبهر بحقائق العلم - وخاصة التيار الوضعي - أنّ دحض الفلسفات بعضها لبعض، إنّما يدلّ على أنّ الأفكار الفلسفية مجرد آراء ذاتية، لا ترقى إلى مستوى الحقيقة التي ينفرد العلم وحده بإنتاجها كقضية يثبت صلاحيتها تجريبيا، فتتصف بطابع الموضوعية. وقد ازداد الأمر تعقيدا بعد تطور العلم، وفرضه معارف يقينية على الناس جميعا.

• بالمقابل:

• نقد الفلاسفة لبعضهم البعض لا يحطّ من قيمة الفلسفة، "إنّ الدحض بالنسبة إلى فلسفة ما هو تطهّر. وهكذا فإنّه عندما تُرفض العناصر المرتبطة بمرحلة معيّنة من مراحل العلم في فلسفة ما بسبب تقدّم المعرفة، فإنّ هذه الفلسفة لا تنهار بسقوط تلك العناصر، بل إنّ حقيقتها، بما هي مستقلة عن العلم الذي ارتبطت به، تكتسب بريقا جديدا"

• إنّ ما يُميّز فلسفة عن أخرى ليس الأجوبة التي تتقدّم بها، بل أنّ الفيلسوف العظيم هو من يسأل وليس من يجيب "إنّ فيلسوفا عظيما هو قبل شيء ذلك الذي يُغيّر جذريا الإشكالية السابقة، ويعيد قدّ الأسئلة الأساسية بحسب مقصد جديد. إنّ الإنسان الذي يسأل أكثر جذرية من الإنسان الذي يجيب. إنّ الفيلسوف العظيم هو من

د/ محمد عبد الرحمن مرحبا من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ص 32¹.

اندهش لأول مرة لشكل من أشكال الوجود في العالم، وهذا الاندهاش هو الذي يدشن شكلا جديدا من التفلسف¹

• السؤال هو استقهام للفكر يطلب الفهم والمعرفة والحقيقة. ومن الناحية المفهومية لا ينبغي الخلط بين السؤال والمشكل، فلا يكفي أن أطرح سؤالا حتى أكون بصدد مشكل؛ فالسؤال يمثل معطى، وهو أعم من المشكل وأشمل منه، ويفترض إجابة مباشرة منه. وتبعا لذلك يمكن القول بأن لكل سؤال جوابا. أما المشكل -فهو وإن كان يطرح في صيغة استفهامية- إلا أنه يبحث في الماهية ويطلب المعرفة، ويستدعي جهدا ذهنيا، ولا وجود في الفلسفة لمشكل قابل للحسم نهائيا، فضلا عن كونه يبنى ويُعاد بناؤه باستمرار وبطرق متنوعة.

• فعل التفلسف يبدأ بتنشيط وظيفة العقل، ويستمر به أيضا. غير أنّ من الضروري إعادة النظر دوما فيما ينتجه. يقول ايمانويل كانط في كتابه نقد العقل الخالص "يجب على العقل أن يخضع للنقد، في كل مشاريعه، ولا يمكنه بأي حجة أن يسيء إلى حرية هذا النقد من دون أن يجلب إلى نفسه شكوكا تضرّ به. ولا وجود لشيء هو على قدر من الأهمية من حيث فائدته ولا شيء على قدر من القداسة، بحيث يمكن أن يعفى من هذا الفحص المتعمق والصارم الذي لا يهاب أحدا".²

ويذهب كارل ياسبيرس في كتابه مدخل إلى الفلسفة، وتحديدا في فصل أصول الفلسفة إلى أنّ الأصل هو غير البداية لأنّ البداية تاريخية بينما الأصل هو المصدر والمعين الذي

1- P Ricœur : Histoire et vérité Edt CERES, pp : 56-57.

²- Kant, critique de la raison pure, Edt, GF, p : 562

ينبعث منه وعلى الدوام ميل إلى التفلسف شأن تأكيد أرسطو أنّ الدهشة هي أصل الفلسفة أي هي ما يولّد السؤال. وهكذا يقترن الأصل بالبداية في انشادها إلى مقتضى التفسير فيكون إجابة عن سؤال: كيف؟ في حين يقترن الأساس بالبحث في المعنى من وجود الأشياء ومشروعيتها ويكون إجابة عن سؤال: لماذا؟

التفكير الفلسفي جهد يهدف إلى التحرّر من الظنون بحيث تصبح الذات قادرة على الحكم بنفسها وعلى الإقناع بمشروعية ما تثبته أو تنفيه من مواقف...

المحور الثاني: الفلسفة من الدلالة الاشتقاقية إلى الدلالة الإصطلاحية

1. كلمة "فلسفة" مشتقة من الكلمة اليونانية "فيلوسوفيا (Philosophia)"، وهي تتكوّن من كلمتين:

• **فيلو (Philo):** وتعني محبة أو حب

• **سوفيا (Sophia):** وتعني الحكمة

إذن، الدلالة اللغوية أو الاشتقاقية للفلسفة هي: **محبة الحكمة.**

2. الدلالة الاصطلاحية (المفهوم الفلسفي)

مع تطور الفكر الإنساني، أصبحت "الفلسفة" تُعرّف بطرق متعددة بحسب المدارس والتيارات. من أبرز التعريفات:

تعريف عام:

الفلسفة هي نشاط عقلي نقدي، يهدف إلى فهم الوجود والإنسان والمعرفة، وذلك من خلال التساؤل والتحليل والتأمل.

تعريفات مفصلة حسب المفكرين:

- أفلاطون: الفلسفة هي السعي نحو معرفة الحق والخير والجمال.
- أرسطو: الفلسفة هي العلم الذي يبحث في المبادئ الأولى والأسباب القصوى.
- ديكارت: الفلسفة هي استخدام العقل من أجل الوصول إلى الحقيقة.
- كانط: الفلسفة هي علم نقدي يحدد حدود العقل ويبين إمكانياته.

3. أهمية التمييز بين الدالتين

التمييز بين الدلالة الاشتقاقية والاصطلاحية يساعد الطالب على:

- فهم تطور المفاهيم الفكرية عبر الزمن.
- إدراك الفلسفة كممارسة عقلية تتجاوز المعنى اللغوي البسيط.
- فتح باب التساؤل والتفكير النقدي.

خصائص التفكير الفلسفي

الحديث عن الفلسفة من حيث هي إبداع فكري بشري، يحيلنا بالضرورة إلى الحديث والاعتراف بأنها كذلك نمط فكر له خصوصياته التي تجعله ضرب فكري ومعرفي متميز؛ هذه الفلسفة التي جاءت معبرة عن ذلك التحول في مسار الفكر الإنساني والانتقال به نحو أفق الاستدلال العقلي، تتميز إذن بعدد الخصائص نذكر منها:

1- الشمولية: إذا كانت العلوم ومنذ استقلالها عن الفلسفة قد أخذت في الاتجاه نحو التخصص في مباحثها، وراحت تدرس قضاياها وظواهرها دراسة تجزئية، حيث كل علم يبحث في المشكلات التي تعنيه وكأنها منفصلة عن غيرها، فنجد علم الفلك يهتم بدراسة

الأجرام السماوية وما يتعلق بها من مسارات وتشكلات، وعلم الفيزياء يهتم بدراسة المادة وما يتعلق بها من كتلة وثقل...، وعلم الجيولوجيا ينشغل بدراسة التشكلات التضاريسية المختلفة، وعلم الطب يستهدف دراسة الأجسام وما له من علاقة بالأمراض...، فإن الفلسفة ومنذ بروزها عند اليونان كانت تتجنب التخصص واستمرت تتشد الشمولية في كل ما تدرس. يقول أرسطو "لا علم إلا بالكليات" إنها لا تتشغل ببحث وتفسير المشكلات الجزئية كما هو حال العلوم الأخرى، ويمكن الوقوف على هذه الخاصية بالنظر لمباحثها الأساسية، فعندما يبحث الفيلسوف في الوجود مثلا فإنه لا يركز على المكونات الأساسية للكواكب والنجوم، والقوانين التي تحكم سيرها في الفضاء ، وإنما يريد الإجابة على أسئلة اشمل نحو ما هو مصدر الكون ؟ و ما هي طبيعته ؟ و ما هو مصيره ؟ وهذه الشمولية إنما تهدف إلى تكوين نظرة شاملة عن الكون، والإحاطة بحقيقته العامة..

2-الاتساق: يحرص الفيلسوف على تجنب التناقض في أفكاره، حتى وإن تعددت آراؤه حول القضايا والمسائل التي ينشغل ببحثها، فالنظريات الفلسفية تختلف في منطلقاتها ونتائجها، ورغم ذلك لا تفقد منطقية صدقها أمام العقل، لأنها تتميز بكونها منظومة فكرية خاضعة للانسجام المنطقي بين المنطلقات المسلم بها والنتائج المتوصل إليها ويعتقد بها الفيلسوف. ومن الثابت ان قيمة النسق الفلسفي تزداد وزنا ومصادقية كلما جانببت التناقضات، وشكلت بناء فكريا متناسقا، وهذا ما نلمسه بوضوح في مختلف الفلسفات والمذاهب الفكرية الفلسفية، فحتى وإن كانت الآراء متضادة ومتجادلة، إلا أنها تتأسس على منظومة فكرية متناسقة، تنعكس في مختلف مواقفها ونظرياتها. فالفلسفة العقلية مثلا تدافع عن عقلية المعرفة وأصل

الرياضيات، وأساس القيمة الخلقية ..محترمة في ذلك مسلماتها القائلة بفطرية مثل هذه الحقائق، وتوافقها مع قرارات العقل وبديهياته، ومن غير المنطقي القول بقيمة التجربة في ذلك، وكذلك الشأن بالنسبة للفلسفة التجريبية التي تحترم مسلماتها في بناء نظرياتها، فتبرر كل أنواع الحقائق بأنها مكتسبة طالما أن الانطباعات الحسية هي التي تفرض وجودها على العقل الذي في منشئه جاء صفحة بيضاءلكن ورغم هذا الجدل في التأسيس المعرفي إلا أنها تبقى نظريات مقبولة عقليا بالنظر إلى انسجام واتساق مبناها بين المنطلقات والحقائق المستخلصة..

3-التعمق: التفكير الفلسفي يتجاوز المحسوس إلى التجريد باعتماد التدبر العقلي، المتفحص الهادف إلى الكشف عن جوهر الحقيقة، إنه تأمل عميق يتجاوز الوصف السطحي، وهو في ذلك مقتنع بان الظواهر السطحية تخفي وراءها حقائق لا تدرك إلا بذلك التدبر العقلي المؤسس على النقد والشك...وهذا الفيلسوف سقراط يقول عن الخطاب الفلسفي يبحث عن الإزعاج ويوقظ من النعاس العميق لذلك كانت للتساؤل الفلسفي قيمة هامة فبفضله يتوغل الفيلسوف في جوهر القضايا والانشغالات المطروحة، يقول "كارل ياسبرز الأسئلة في الفلسفة أهم من الاجوبة وينبغي ان يتحول كل جواب الى سؤال جديد ويقول" برتراند راسل "موجها النظر حول أهمية الفلسفة قادرة على اقتراح امكانات عديدة توسع افاق فكرنا وتحرر أفكارنا من سلطان سلطان العادة الطاغى، وتزيل التزمّت ولعل تضمن البحث الفلسفي لصفة الشك، إنما هدفه توسيع النظر والاستطلاع المعرفي، وعدم الاكتفاء بما جاهز واضح..

4-الدهشة: فالدهشة تعبر عن الشعور بالجهل بحقيقة الظواهر، والمسائل التي تواجه الإنسان، وحينها يندفع وينطلق نحو البحث عن الحقيقة ..والدهشة في الفلسفة هي كما يقول عنها" شوبنهاور "دهشة أمام الأمور الاعتيادية التي تكتسي حلّة البداهة، وهي دهشة أمام الأشياء ذات الصبغة الأكثر عمومية، وجعلها موضوع التساؤل وتحويلها إلى قضايا استشكالية.

5-الانشغال بقضايا الإنسان: مهما تعددت النظريات الفلسفية، ومهما اختلفت خصوصيات العصر الذي تواجدت فيه، إلا أن الفلسفة ومنذ ظهورها الأول هي انشغال وتفكير في الإنسان واهتماماته وكيوناته، فقد بحثت في حريته وسعادته ووجوده ومصيره وعلاقته بالغير وبالخالق ..وغيرها من المسائل المثيرة والمحيرة للعقل ..يقول" هيجل الدفاع عن الفلسفة هو دفاع عن الإنسان".

مباحث الفلسفة وقضاياها

يمكن حصر الموضوعات التي اشتغل عليها الفكر الفلسفي عبر تاريخه في ثلاث قضايا أساسية هي: قضية الوجود، وقضية القيم وقضية المعرفة.

أولاً: مبحث الوجود L'ontologie: تُعْتَبَر الأنطولوجيا من أقدم المباحث الفلسفية لارتباطها المباشر بالكينونة البشرية وفيه تهتم الفلسفة بالبحث في طبيعة الوجود، وفي خصائصه العامة قصد وضع نظرية في طبيعة العالم. من أهم الأسئلة التي راودت الفلاسفة في هذا الموضوع: ما لوجود؟ وما طبيعته ؟ هل يتحقق في الذهن أم في

الواقع ؟ هل يتحقق لدى جميع الموجودات بنفس الدرجة ؟ هل أتَّحقَّق من وجود غيري
كما أعاين وجودي ؟

في هذا الطور عالجَت الفلسفة اليونانية مسألة أصل الكون، لقد لاحظ الفلاسفة أن توالد
الأشياء والكائنات عن بعضها البعض، لكن ماذا عن البدايات؟ كيف ظهرت هذه
الكائنات؟ ما هو أصلها؟ هل لها مادة أولية واحدة؟ أم صدرت عن مواد مختلفة؟

وتاريخيا يعتبر الفلاسفة الطبيعيون من أبرز من أخذ زمام المبادرة بمحاولة بحثهم عن
تفسيرات للكون ونشأته، سواء كانت برده لأسباب مادية أو معنوية.

أما أفلاطون (صاحب نظرية المثل) فقد أضفى فكرة الوجود الثابت الساكن على عالم
المثل. أما عالم الحس فهو متغير.

أما أرسطو فقد اتَّسم بمبحث الوجود عنده بالوضوح على خلاف أستاذه أفلاطون؛ فالوجود
لم يَعد شيئاً بعينه، وإنما أصبح معنى يلحق بالأشياء فيضفي عليها مشروعية الوجود.

ثانيا :مبحث القيم: L'axiologie

وفيه تهتم الفلسفة بالمثل العليا والقيم المطلقة مثل الحق والجمال لمعرفة ما إذا
كانت هذه القيم مجرد معانٍ في العقل؟ أم لها وجود مستقل عن هذا العقل الذي
يدركها، وكذا مسألة الخير والشر من حيث الخوض في مسألة القيم الأخلاقية
ومصدرها، هل يحددها العقل، الدين، أم المجتمع ... ؟ وهذا ما تهتم به فلسفة الأخلاق
وفلسفة الفن.

ثالثا-مبحث المعرفة Epistémologie

وفيه تبحث الفلسفة في إمكان المعرفة بالوجود، وحدود هذه المعرفة وطبيعتها وأدواتها، وهل هي احتمالية أم يقينية؟ وكيف وصلت إلينا معارفنا ومعلوماتنا عن هذا الكون وأشياءه وأشخاصه وظواهره وحوادثه؟ وهل معلوماتنا هذه يقينية أم احتمالية؟

الفلسفة وتجاوز التفكير الأسطوري

منذ القدم، سعى الإنسان إلى فهم العالم من حوله، والبحث عن إجابات لأسئلته الوجودية الكبرى مثل: من أين جئت؟ لماذا أنا هنا؟ وما الذي سيحدث بعد الموت؟ في المراحل الأولى من الحضارة، اتجه الإنسان إلى تقديم إجابات تعتمد على الخيال والأسطورة، فصاغ قصصاً وخرافات تُفسّر الظواهر الطبيعية والاجتماعية بطريقة رمزية، تعكس رؤيته البدائية للكون.

غير أن تطوّر الوعي الإنساني قاده لاحقاً إلى نمط تفكير جديد: التفكير الفلسفي، الذي تميز بالبحث عن الحقيقة من خلال العقل، والتحليل، والبرهان، بدلاً من الاكتفاء بالأساطير والتفسيرات الميتافيزيقية. لقد مثلت الفلسفة منذ نشأتها في الحضارة اليونانية نقطة تحوّل نوعي في مسار الفكر الإنساني، حيث وضعت حدّاً فاصلاً بين الخيال والأسطورة من جهة، والمنهج العقلي من جهة أخرى.

انطلاقاً من هذه الخلفية، يهدف هذا العنصر إلى دراسة العلاقة بين الفلسفة والتفكير الأسطوري، من خلال الكشف عن كيفية تجاوز الفلسفة لهذا النمط القديم من التفكير،

وتحليل الأسباب التي مكنتها من ذلك، مع الوقوف على أبرز مظاهر القطيعة المعرفية بينهما.

1. مفهوم التفكير الأسطوري

يُقصد بالتفكير الأسطوري ذلك النمط من التفكير الذي ساد في المجتمعات البدائية، والذي يعتمد على الرموز والقصص الخيالية لتفسير الظواهر الطبيعية والوجودية. فالأسطورة (Mythos) لم تكن مجرد حكاية تُروى، بل كانت تمثل منظومة فكرية وعقدية تُشكّل تصور الإنسان القديم للعالم، وتمنحه إحساسًا بالمعنى والانتماء.

سمات التفكير الأسطوري:

1. اللاعقلانية: لا يعتمد على البرهان أو الحجة العقلية، بل على الإيمان والانبهار.
2. التشخيص والتمثيل: ينسب قوى الطبيعة إلى آلهة وشخصيات خيالية (كإله الشمس، إله الرعد).
3. الزمن الدوري: يُؤمن بأن الزمن يعيد نفسه، والأحداث تتكرر وفق نمط معين.
4. التفسير الخارق: تُنسب الظواهر إلى قوى غيبية وسحرية بدلاً من قوانين طبيعية.
5. الوظيفة النفسية والاجتماعية: تلعب الأسطورة دورًا في حفظ النظام الاجتماعي وبتث الطمأنينة لدى الأفراد.

وظيفة الأسطورة في المجتمع القديم:

الأسطورة لم تكن فقط وسيلة للشرح، بل كانت جزءًا من النسيج الديني والثقافي، تساعد الجماعة على بناء هويتها وفهم مكانتها في الكون. وقد كانت تُروى شفويًا، وتنتقل من جيل إلى آخر، فتُشكل "الذاكرة الجمعية" للشعوب.

2. نشأة التفكير الفلسفي

يمثل ظهور الفلسفة في اليونان القديمة أحد أهم التحولات في تاريخ الفكر الإنساني. فقد كانت بداية جديدة لنمط من التفكير يقوم على السؤال، والبحث، والشك، والاستدلال، بدلًا من القبول الأعمى للروايات الأسطورية. لقد شكّل هذا التحول قطيعة إبستمولوجية (معرفية) مع الماضي، وفتح الباب لتأسيس علوم الطبيعة، والمنطق، والأخلاق، والسياسة، وغيرها من مجالات المعرفة.

السياق التاريخي والاجتماعي:

ظهرت الفلسفة في القرن السادس قبل الميلاد، خاصة في منطقة أيونيا (غربي آسيا الصغرى)، التي كانت مركزًا تجاريًا وثقافيًا هامًا. هذا الانفتاح على حضارات متعددة مثل المصرية، والبابلية، والفينيقية، ساعد في خلق بيئة خصبة للشك والتأمل. كذلك، ساهمت الديمقراطية الناشئة في أثينا لاحقًا في تعزيز حرية التفكير والنقاش، مما جعل العقل يُصبح أداة مقبولة وشرعية لفهم الواقع.

لماذا تجاوز الإنسان الأسطورة وبدأ في التفكير الفلسفي؟

1. تطور الوعي العقلي: بدأ الإنسان يدرك أن التفسير الخرافي لا يكفي للإجابة عن أسئلته، فبحث عن تفسير عقلائى.

2. نقد التناقضات الأسطورية: بدأ المفكرون يلاحظون التناقض بين الروايات الأسطورية، مما زرع مصداقيتها.

3. الرغبة في النظام والانسجام: الفلسفة حاولت البحث عن "مبدأ أول" يحكم الكون كله، بدلاً من تعدد الآلهة والقوى.

4. تأثير الرياضيات والفلك: المعارف العلمية التي نقلتها حضارات أخرى مثل المصريين والبابليين، دفعت بعض الفلاسفة إلى التفكير بشكل أكثر دقة وتجريداً.

مقارنة بين الأسطورة والفلسفة:

الجانب	التفكير الأسطوري	التفكير الفلسفي
المصدر	الخيال والروايات الشعبية	العقل والتحليل المنطقي
التفسير	قائم على الغيبيات والآلهة	قائم على المبادئ الطبيعية
الهدف	الطمأنينة وفهم رمزي للكون الحقيقة والفهم المنهجي	
طبيعة المعرفة	مطلقة وثابتة	نسبية وقابلة للتطور
آلية النقل	شفهية وغير قابلة للنقد	مكتوبة وقابلة للتحليل والنقاش

الفلسفة، بهذا المعنى، ليست مجرد انتقال من "محتوى" مختلف عن الأسطورة، بل ثورة في طريقة التفكير بحد ذاتها. إنها بداية استخدام العقل كأداة أساسية لمعرفة الذات والكون.

القطيعة المعرفية مع الأسطورة. هنا يظهر دور الفلاسفة الأوائل الذين وفقوا في تجاوز التفكير التقليدي.

3. القطيعة المعرفية مع الأسطورة

مع بروز الفلاسفة الأوائل في الحضارة اليونانية، بدأ يتشكل نوع جديد من التفكير، قائم على العقل والملاحظة والتحليل المنطقي. هؤلاء الفلاسفة لم يكتفوا فقط برفض الأسطورة، بل أعادوا بناء رؤية جديدة للكون، تقوم على البحث عن أصل الأشياء ومبدئها الأول، باستخدام التفكير العقلاني بدلاً من السرد الأسطوري.

الفلاسفة الطبيعيون:

طاليس (Thales)

- أول من طرح سؤالاً فلسفياً عن أصل الكون بشكل عقلاني.
- قال إن الماء هو أصل كل الأشياء، لأنه موجود في كل شيء حي.
- هذا التفسير طبيعي وغير أسطوري، ويعتمد على ملاحظة الطبيعة بدلاً من نسب الأشياء للآلهة.

أنكسمندر (Anaximander)

- خالف أستاذه طاليس وقال: الأصل ليس عنصراً مادياً، بل اللامحدود .
- وهنا بدأ يظهر التفكير التجريدي؛ ما عاد البحث فقط عن عناصر ملموسة.

هيراقليطس (Heraclitus)

- قال إن الكون في حالة تغير دائم، "لا يمكنك أن تسبح في نفس النهر مرتين".
- هذا يناقض فكرة الأسطورة التي تؤمن بثبات النظام الكوني.
- قدّم فكرة أن الصراع والتغير هما طبيعة الأشياء.

الفلسفة تفتح باب المنهج العقلي:

هذه التحولات الفلسفية لم تكن مجرد تفسيرات جديدة، بل كانت قطيعة معرفية، لأن الفلاسفة:

- شككوا في المسلمات الموروثة.
- بدأوا في استخدام البرهان والاستدلال.
- تعاملوا مع الأسئلة الوجودية بمنهج نقدي ومنهجي، وليس بالوراثة أو التلقين.

هذه الخطوة كانت مهمة جداً لأنها أسست لـ:

- المنهج العلمي الحديث.
- التمييز بين ما هو أسطوري وما هو عقلي.
- بزوغ فجر الحرية الفكرية والنقاش الفلسفي.

لماذا تُعتبر هذه القطيعة "ثورة فكرية"؟

لأن الفلاسفة:

1. انتقلوا من الخيال إلى التجريب والتفكير المنطقي.

2. أسسوا مبدأ السبب والنتيجة.

3. رفضوا احتكار الكهنة والسلطات التقليدية للمعرفة.

في هذا السياق، يمكن القول إن الفلسفة لم تُلغ الأسطورة بالكامل، بل أعادت ترتيب العلاقة مع المعرفة، حيث صار الإنسان مسؤولاً عن بناء أفكاره، لا مجرد ناقل لتصورات جاهزة.

4. أثر الفلسفة في تشكيل الوعي العلمي والعقلاني

لم يكن التحول من التفكير الأسطوري إلى التفكير الفلسفي مجرد تغيير في المحتوى، بل كان نقلة نوعية في طريقة فهم الإنسان للعالم. لقد مهدت الفلسفة الطريق أمام ولادة العلوم الطبيعية، والمنطق، والمنهج العلمي التجريبي. فبفضل الفلاسفة، أصبح العقل هو المرجعية الأساسية للمعرفة، وصار الإنسان يفسر الظواهر من خلال قوانين وقواعد، لا خرافات وتصورات خارقة.

كيف ساهمت الفلسفة في نشأة العلم؟

1. تقديس العقل والمنطق:

○ الفلسفة رفعت من شأن العقل كأداة للمعرفة.

○ ساهمت في تأسيس قواعد التفكير السليم: الاستدلال، التحليل، التعميم.

2. طرح الأسئلة الدقيقة:

◦ الفلاسفة كانوا أول من سألوا: "لماذا؟" و"كيف؟"، بدلاً من قبول "لأن الآلهة قالت ذلك".

◦ هذه الأسئلة صارت لاحقاً نواة المنهج العلمي.

3. التأسيس النظري للعلوم:

◦ أفلاطون (Plato) وضع أسساً معرفية لفهم الرياضيات والمفاهيم المجردة.

◦ أرسطو (Aristotle) قدّم تصنيفات للكائنات الحية، ووضع أول شكل من

المنهج التجريبي.

أمثلة على التحول من الأسطورة إلى العلم:

الظاهرة	التفسير الفلسفي / العلمي	التفسير الأسطوري
الزلازل	حركة طبقات الأرض	غضب الآلهة
البرق والرعد	احتكاك بين السحب	صراع بين آلهة
الأمراض	اختلال في سوائل الجسم	لعنة أو مس شيطاني

بناء الوعي النقدي:

الفلسفة علمت الإنسان كيف يفكر، لا ماذا يفكر. وقد صار الشك أداة بحث، بدلاً من أن يكون عيباً أو خطيئة. مثلاً ديكارت في العصور الحديثة، انطلق من الشك ليؤسس

يقينًا عقليًا جديدًا "بُنا أفكر، إذن أنا موجود". هذا المنهج شكّل لاحقًا أسس العلم الحديث، حيث لا تُقبل أي فكرة بدون اختبار، ولا تُعتمد أي نظرية إلا بعد إثبات.

الفلسفة ليست ضد الدين، بل ضد الجهل:

رغم أن الفلسفة واجهت الأسطورة، إلا أنها لم تكن دائمًا ضد الإيمان، بل ضد التفكير الخرافي والكسول. كثير من الفلاسفة مثل ابن رشد، الغزالي، الكندي، وغيرهم سعوا إلى التوفيق بين العقل والوحي، واعتبروا أن العقل هدية من الله يجب استخدامها. فالفلسفة كانت وما تزال قوة تحريرية لعقل الإنسان، فهي التي حرّرت من قبضة الأسطورة، وعلمته أن يسأل، ويفكر، ويحلل. ومن رحم هذا الفكر وُلدت العلوم، وتطور الفكر البشري، وأصبحت الإنسانية أقرب لفهم نفسها والكون.

على هذا الأساس فالفلسفة لم تنشأ في فراغ، بل جاءت استجابةً لتحولات عميقة في وعي الإنسان واحتياجاته المعرفية. لقد شكّلت الفلسفة مرحلة تأسيسية جديدة في تاريخ الفكر الإنساني، تجاوزت من خلالها الأسطورة، لا فقط كنمط تعبير، بل كنظام شامل للمعرفة قائم على الغيب والرمزية والتكرار.

فبمجرد أن بدأ الإنسان في مساءلة الروايات الموروثة، والبحث عن تفسيرات عقلانية للظواهر الطبيعية والاجتماعية، كان بذلك يضع اللبنة الأولى لقيام الوعي الفلسفي والعلمي. هذا التحول من الخرافة إلى العقل، من التقليد إلى النقد، ومن الغيبي إلى البرهاني، هو ما منح الفلسفة مكانتها كمحرك أساسي للتقدم الفكري والمعرفي.

كما أن الفلسفة، رغم تجاوزها للتفكير الأسطوري، لم تقطع نهائياً مع الأبعاد الرمزية والروحية للوجود، بل عملت على إعادة تأويلها وإخضاعها للفهم العقلاني. ولهذا، فإن دور الفلسفة لا يقتصر على مواجهة الأسطورة فحسب، بل يشمل أيضاً تحصين العقل ضد كل أشكال التبسيط والجهل والانغلاق، سواء جاءت في لبوس خرافي أو حتى أيديولوجي.

إن الدرس الأكبر الذي تقدمه الفلسفة، هو أن الإنسان لا يبلغ إنسانيته الكاملة إلا حين يُمارس التفكير النقدي، ويظل منفتحاً على الأسئلة، رافضاً كل يقين لا يقوم على فحص وتمحيص.

الفلسفة كتفكير منهجي

الفلسفة كنمط متميز من التفكير

تتميز الفلسفة عن العلم خصوصاً بميزات عديدة أهمها:

أ - من حيث الموضوع (الوجود - المعرفة - القيم)

ب - من حيث المنهج:

إن المنهج هو الطريقة التي يتبعها العقل في دراسة موضوع ما قصد التوصل إلى قانون عام أو مذهب جامع، أو هو فن ترتيب الأفكار ترتيباً يؤدي إلى كشف حقيقة مجهولة، أو إلى البرهنة على حقيقة معلومة.

لكن منهج الفلسفة يختلف بعض الاختلاف عن المنهج العلمي فإذا كان المنهج العلمي يقوم أساساً على ملاحظة الظواهر وفحص جزئياتها، وعلى إقامة التجارب للتأكد من صحة الفروض أو فسادها، فإن منهج الفلسفة يقوم على التأمل النظري

فيما وراء الظواهر التي تتجلى بها الموجودات لمعرفة ماهيتها. ويكون ذلك وفق الخطوات العامة التالية:

أولاً- ضبط التّصوّر: وهو دراسة تحليلية للمفاهيم في تكونها وتحولاتها وتوضيح معاني الكلمات المعبرة عنها.

ثانياً- صياغة الأشكال صياغة دقيقة و واضحة

والاشكال هو عبارة عن تساؤل يدفع إلى المزيد من التأمل والبحث والتدقيق والعمل على إيجاد الحجج والبراهين المدعمة للموقف والمفندة للمواقف المخالفة والمناقضة له.

ثالثاً- إقامة الحجة: إنّ تقديم الحجج وإقامة البراهين العقلية المنطقية من الأمور الأساسية في كل تفكير يمكن أن نسمّيه تفلسف. ولا يمكن بأي حال من الأحوال، أن نتصور فلسفة من غير نقد. وعلى العموم فمنهج الفلسفة عقلاني وهو يعتمد على الاستدلال بمختلف أنواعه، وعلى النقد، وله مقاصد معلومة

ويشترط الانطلاق من الشك المنهجي، وممارسة النقد والنقد الذاتي، يقول ابن الهيثم : "الواجب على الناظر في كتب العلوم إذا كان غرضه معرفة الحقائق أن يجعل نفسه خصما لكل من ينظر فيه ويجيل فكره في متنه وفي جميع حواشيه، ويخصمه (ينتقده) من جميع جهاته، ويتهم (ينتقد) أيضا نفسه عند خصامه ولا يتحامل عليه."

-ويقول الجاحظ ناصحًا طلاب العلم: "اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها
تعرف مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلّمًا"

الفلسفة والثقافة والطبيعة

تمهيد:

منذ أن بدأ الإنسان بالتساؤل عن نفسه والعالم، ظهرت الفلسفة كأداة لفهم الحقيقة، والوجود،
والغاية. لكن الإنسان ما عاش بالفكر فقط... بل بنى ثقافات، وتفاعل مع الطبيعة، فصار
العقل والبيئة والمجتمع نسيجًا واحدًا يشكل هويتنا.

أولاً: الفلسفة – سؤال الإنسان الكبير

الفلسفة ما كانت يوماً رفاهية فكرية، بل هي محاولة الإنسان الدائمة لفهم: من هو؟ ولماذا
هو هنا؟ وكيف يجب أن يعيش؟

من أفلاطون الذي تخيل مدينة فاضلة، إلى هيدغر الذي غاص في معنى "الوجود"، كل
فيلسوف كان يردّ على أسئلة الواقع... وعلى نفسه.

ثانياً: الثقافة – الذاكرة الجماعية

1. إيمانويل كانط إن الثقافة هي: "نمو الإنسان من حالته الطبيعية إلى حالة التهذيب، أي
انتقاله من الغرائز إلى استخدام العقل". يعني عنده، الثقافة = الترقّي الإنساني باستخدام
العقل.

2. فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche)

نيتشه عنده موقف مختلف قليلا، يقول: "الثقافة غالبًا ما تُستخدم لكبح الإنسان، وتُعزز قيم المجتمعات القمعية".

عنده الثقافة ممكن تكون قناع! تغطّي على الطبيعة الحقيقية للإنسان!

3. إدوارد تايلور – (Edward Tylor) من أوائل علماء الأنثروبولوجيا عرف الثقافة بشكل كلاسيكي ومشهور جدًا: "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات، وأي قدرات أو عادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع".

هذا التعريف يعتبر حجر أساس في العلوم الاجتماعية.

ثانيًا: تعريفات من علم الاجتماع المعاصر

1. بيير بورديو (Pierre Bourdieu) تكلم عن مفهوم "الرأس المال الثقافي"، وقال: "الثقافة ليست شيء يستهلك فقط، بل هي قوة تُستخدم للتفريق بين الطبقات الاجتماعية".
يعني: التعليم، الذوق، اللبس... كلها أدوات للتمييز الطبقي.

2. كليفورد جيرتز (Clifford Geertz) قال إن الثقافة: "نظام من المعاني الرمزية التي يفسر من خلالها الناس تجربتهم الحياتية". عنده، الثقافة = مجموعة من القصص والمعاني التي نعيش من خلالها.

الثقافة ما هي إلا عادات وتقاليد... هي انعكاس لفكر مجتمع. في كل حضارة، تجد طقوسًا، رموزًا، وفنونًا تعبّر عن نظرتهم للكون، للموت، وللطبيعة نفسها.

— بالنسبة للفيلسوف: هي وجود في ذاته.

— بالنسبة للثقافة: يمكن تكون رمز حياة، أو ظل راحة، أو حتى جزء من طقس روحي.

ثالثًا: الطبيعة – مصدر الإلهام والفهم

قبل ما نكون بشرًا حضاريين... كنا أبناء الطبيعة منها تعلمنا الإيقاع، الدوران، الصبر، والموت.

الفلاسفة الطبيعيين مثل طاليس وأناكسيمندر شافوا في الطبيعة أصل كل شيء. بينما الفلاسفة المعاصرين يتحدثون عن علاقتنا المكسورة مع البيئة بسبب التكنولوجيا.

رابعًا: العلاقة بين الثلاثة – تناغم أم صراع؟

هل الفلسفة تُفصلنا عن الطبيعة؟ هل الثقافة تقرّبنا منها أم تبعدنا؟

الحقيقة أن:

الفلسفة تطرح الأسئلة. الثقافة تجيب بطريقتها. والطبيعة تظل الصامت الأكبر... لكنها دائمًا هناك، تراقبنا، وتُربّيها.

علاقة الفلسفة بالعلم

مقدمة

لإثبات علاقة موضوعين ببعضهما من الضروري بيان حاجة أحدهما للآخر، فتكون العلاقة شرطية. أو حاجة كلّ منهما للآخر فتكون العلاقة بينهما تكاملية. وهو ما نسعى لبيانه في هذه المحاضرة التي تنطوي على رأيين متناقضين في بيان أهمية الفلسفة أو العلم.

العلم شرط الفلسفة

بحسب لوي ألتوسير العلوم كانت بمثابة الأرضية التي قامت عليها الفلسفة "إنّ الفلسفة لم توجد دائماً، إذ لا يُلاحَظ وجودها إلا في عالم يحتوي على ما نسميه علماً أو علوماً بالمعنى الدقيق ...

لكي تولّد الفلسفة أو تتجدّد نشأتها، لابدّ من وجود علوم، ولربّما كان هذا هو السبب في أنّ الفلسفة بالمعنى الدقيق، لم تبدأ إلا مع أفلاطون، وقد أدى إلى ذلك وجود الرياضيات اليونانية. ثم قلب ديكارت هذه الفلسفة، وكانت فيزياء غاليلي سبب ثورته الحديثة في الفلسفة. ثم عمل كانط على إعادة بناء صرح الفلسفة، وذلك تحت تأثير نيوتن. ثم أعيدت صياغتها مع هوسرل تحت تأثير نظام البديهيات".

الفلسفة ضرورية إلى جانب العلم

يقول الباحث "إمام عبد الفتاح إمام"... غير أن هذا الانفصال بين الفلسفة والعلم الذي شهده القرن التاسع عشر لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما بدأ الجليد يذوب في القرن العشرين، لأنّ هذا الانفصال لا يمكن أن يكون إلا إجحافاً لكل من الفلسفة والعلم، فالفلسفة ضرورية للعلم نفسه؛ إنها ليست سوى محاولة لفهم مجموعة المعارف البشرية في مركب واحد،

وإخضاع الطرق التي استخدمت في الحصول على هذه المعرفة للنقد والتحليل، ثم محاولة التعرف على هذه المعرفة بإقامة المذاهب الفلسفية المختلفة .

وكيف يمكن التصدي لهذه المهمة الشاقة بطريقة جدية ما لم يحيطوا بالنتائج النهائية التي توصل إليها العلم في عصرهم ؟ إنّ الفيلسوف الذي يجهل المدلولات التي تقدمها الأبحاث العلمية عن العالم (الكون) لن يكون باستطاعته أن يقترب من التفلسف، لهذا يلح بأشlar على ضرورة ربط العلم بالفلسفة ربطا وثيقا.

بل ويذهب الانجليزي برتراند راسل إلى أكثر من ذلك، فالكثير من القضايا تحتاج لرؤية فلسفية وعلمية "إن أهمية الفلسفة متأتية من كونها تشد أنفسنا، أو إنّ شئت يقظتنا الفكرية، لأنّ هناك قضايا خطيرة في الحياة، لا يستطيع العلم أن يعالجها، أو أن يقول فيها كلمته، ولأنّ الرأي العلمي (...) ليس هو الرأي المناسب لتلك القضايا".

على هذا الأساس فالعلم يخدم الفلسفة باعتباره الأرضة التي يشتغل عليها الفيلسوف، بالمقابل فالفلسفة حديثا أصبحت مرافقة للعلم بالبحث في مبادئه ومناهجه ونتائجه، وهو مبحث فلسفي تكفّلت به الاستمولوجيا. على هذا الأساس فالعلاقة بينهما تكاملية.

الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية

تمهيد

تُعد الحقيقة من المفاهيم المركزية في الفلسفة والدين على حد سواء، وقد شغلت عقول المفكرين والفلاسفة منذ القدم. في الفكر الإسلامي، نشأت تساؤلات حول العلاقة بين الحقيقة التي يدركها الإنسان من خلال الوحي والنصوص الدينية، والحقيقة التي يصل إليها عبر

التأمل العقلي والفلسفي . هذا الفصل يستعرض مفهوم الحقيقة في السياقين الديني والفلسفي، مع التركيز على محاولات التوفيق بينهما في التراث الإسلامي

2diwanalarab.com+2drsabrikhalil.wordpress.com الحوار اليوم+2

أولاً: مفهوم الحقيقة في اللغة والاصطلاح

في اللغة العربية، تُشير "الحقيقة" إلى الثبات واليقين ومخالفة المجاز . يقول ابن منظور في "لسان العرب": "الحقيقة: ما يُحقّ عليه الأمر ويثبت في الاستعمال، وهي ضد المجاز "

1diwanalarab.com+1drsabrikhalil.wordpress.com

أما في الاصطلاح الفلسفي، فالحقيقة تُعرّف بأنها مطابقة الفكر للواقع، أي أن يكون الحكم أو التصور متطابقاً مع ما هو عليه الشيء في الواقع.

ثانياً: الحقيقة الدينية

الحقيقة الدينية في الفكر الإسلامي تُستمد من الوحي الإلهي، وتُعتبر يقينية وثابتة، لأنها صادرة عن مصدر معصوم . يؤمن المسلمون بأن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان للحقيقة الدينية، ويُعتبران مرجعاً في العقيدة والشريعة والأخلاق.

وقد تناول علماء الكلام مفهوم الحقيقة من زاوية الدفاع عن العقائد الإسلامية باستخدام العقل، معتمدين على الجدل والحجاج للوصول إلى اليقين الديني . فعلى سبيل المثال، استخدم المعتزلة العقل لإثبات التوحيد والعدل الإلهي، بينما ركز الأشاعرة على التوفيق بين العقل والنقل، مؤكدين على أن العقل لا يتعارض مع النصوص الشرعية

1diwanalarab.com+1drsabrikhalil.wordpress.com الصحيحة

ثالثًا: الحقيقة الفلسفية

الحقيقة الفلسفية تُستمد من التأمل العقلي والتفكير المنطقي. في الفلسفة الإسلامية، تأثر الفلاسفة المسلمون بالفلسفة اليونانية، خاصة بأفلاطون وأرسطو، وسعوا إلى التوفيق بين الفلسفة والدين. ويكيبيديا

يُعد الفارابي من أبرز الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين الفلسفة والدين، حيث رأى أن الحقيقة واحدة، وأنها تُدرك بالعقل والوحي معًا. أما ابن سينا، فقد أكد على أن العقل يمكنه الوصول إلى الحقيقة، لكنه لا يتعارض مع الوحي، بل يُكمّله. من جهة أخرى، رأى ابن رشد أن الشريعة تحث على استخدام العقل، وأنه لا تعارض بين الفلسفة والدين، بل إن كليهما يسعى إلى نفس الحقيقة، وإن اختلفت الوسائل .

رابعًا: التوفيق بين الحقيقة الدينية والفلسفية

سعى العديد من المفكرين المسلمين إلى التوفيق بين الحقيقة الدينية والفلسفية، معتبرين أن كلاهما يُكمل الآخر. فالكندي، على سبيل المثال، رأى أن الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية لا تتعارضان، بل هما وجهان لعملة واحدة.

كما أكد الغزالي على أهمية العقل في فهم الدين، لكنه حذر من الاعتماد الكلي على الفلسفة دون الرجوع إلى الوحي. وفي كتابه "تهافت الفلاسفة"، انتقد بعض آراء الفلاسفة التي اعتبرها متعارضة مع العقيدة الإسلامية، لكنه لم يُنكر دور العقل في الوصول إلى الحقيقة.

خامسًا: الحقيقة في التصوف الإسلامي

في التصوف الإسلامي، تُعتبر الحقيقة تجربة ذوقية وشهودية، يُدركها الإنسان من خلال التزكية الروحية والتقرب إلى الله . يرى المتصوفة أن الحقيقة لا تُدرك بالعقل فقط، بل تحتاج إلى صفاء القلب وتطهير النفس . وقد عبّر الحلاج عن هذا المفهوم بقوله: "أنا الحق"، مشيرًا إلى الفناء في الذات الإلهية والوصول إلى الحقيقة المطلقة

[.diwanalarab.com+1drsabrikhalil.wordpress.com](http://diwanalarab.com+1drsabrikhalil.wordpress.com)

يتضح من العرض السابق أن الحقيقة في الفكر الإسلامي تُدرك من خلال مصادر متعددة: الوحي، والعقل، والتجربة الروحية . وقد سعى المفكرون المسلمون إلى التوفيق بين هذه المصادر، مؤكدين على أن الحقيقة واحدة، وإن اختلفت طرق الوصول إليها . هذا التعدد في المناهج يُغني الفكر الإسلامي، ويُظهر مرونته وقدرته على استيعاب مختلف الرؤى والمعارف.

دور الفلسفة في تعقل الدين وترشيد السلوك الديني

تمهيد

إن العلاقة بين الفلسفة والدين ليست علاقة خصومة دائمة، بل هي في جوهرها علاقة تكامل متى ما تحررت من التأويلات السطحية والصراعات التاريخية العارضة . فبينما يُمثل الدين المصدر الأسمى للمعنى والغائية، تُعدّ الفلسفة أداة منهجية للتفكير في هذا المعنى وفهمه على نحو عقلاني ومنظم . وفي هذا السياق، تتبّع أهمية الفلسفة في تعقل الدين وترشيد السلوك الديني، حيث تصبح الفلسفة لا نقيضًا للوحي، بل وسيلة لفهمه بصورة أعمق وأدق .

أولاً: الدين والفكر الفلسفي - جدل المعنى والتأويل

الدين، في جوهره، خطاب موجّه إلى الإنسان بجميع أبعاده: العقلية، الروحية، النفسية والاجتماعية.

لكنّ هذا الخطاب، على سموّه، يبقى عرضة لسوء الفهم أو التحريف عندما يُفهم خارج سياقه، أو يُعزّل عن آليات التأمل والتعقّل.

وهنا تتدخل الفلسفة بوصفها أداة تأويلية Hermeneutic قادرة على كشف البنية العميقة للنصوص الدينية، والتمييز بين الجوهر والظاهر، وبين الثابت والمتغيّر.

"الفلسفة لا تهدم الدين، بل تحميه من التأويلات المغلقة والانغلاق العقلي." - (ابن رشد)

ثانياً: الفلسفة كأداة لتعقّل الدين

في التراث الإسلامي، لم يكن الفلاسفة بعيدين عن سؤال الدين، بل انخرطوا فيه انخراطاً وجودياً وعقلياً. الكندي، على سبيل المثال، رأى أن الفلسفة خادمة للوحي، وأنها تُعلّمنا كيف نُبصر الحق بعين العقل دون تعارض مع عين الإيمان. أما الفارابي، فقد حاول إقامة "المدينة الفاضلة" التي يحكمها الفيلسوف-النبي، حيث يتكامل العقل والوحي في بناء المجتمع الفاضل.

بل إن ابن رشد ذهب إلى القول بأن: "الشريعة تحت على النظر العقلي، ومن منع الفلسفة فقد جهل الشريعة - فصل المقال، ابن رشد

فالفلسفة تعلّمنا أن الدين ليس ممارسات عمياء أو طقوساً جوفاء، بل منظومة عقلية وروحية يجب أن تُفهم وتُمارَس عن وعي.

ثالثاً: الفلسفة وترشيد السلوك الديني

لا يمكن الحديث عن التدين الحق دون الحديث عن السلوك الديني، أي تلك الأفعال التي يقوم بها الفرد تعبيراً عن إيمانه. ولكن ما نراه في الواقع كثيراً هو انحراف في التدين نحو الغلو أو الجمود، إما بسبب فقر في التفكير أو سوء في الفهم. وهنا تبرز وظيفة الفلسفة النقدية.

• الفلسفة تزرع الشك المنهجي لا الشك السلبي، فتدفع المؤمن لإعادة النظر في دوافعه ومقاصده.

• الفلسفة تحذر من الدوغمائية والانغلاق على التفسيرات الأحادية.

• الفلسفة تُرسّخ قيمة النية والمقصد الأخلاقي خلف الفعل، لا شكله فقط.

كما أن الفلسفة الأخلاقية، عند أمثال سقراط وكانط، تعلّمنا أن الفضيلة لا تُقاس بالفعل الظاهري بل بنية العقل، وهي فكرة تتقاطع مع المفهوم الإسلامي للإخلاص.

رابعاً: التصوف العقلي كنموذج للتكامل

ربما نجد في بعض التيارات الفكرية مثل التصوف الفلسفي مثلاً واضحاً على هذا التكامل. فالمتصوفة لم ينكروا العقل، بل سخّروه في رحلة "المعرفة الذوقية"، حيث الوجدان والعقل

يلتقيان.

الحكيم الترمذي وابن عربي وغيرهم سعوا إلى تقديم فهم ديني يزواج بين الحضور الروحي والتأمل العقلي.

خامساً: التحديات المعاصرة والحاجة إلى الفلسفة

في عصرنا الراهن، حيث طغيان الأيديولوجيات والانقسامات الدينية، نحتاج إلى فلسفة دينية نقدية تُعيد للدين بُعدَه الإنساني والعالمي. لقد تحوّل الدين عند البعض إلى مشروع هوياتي مغلق، بدل أن يكون مشروعاً للسلام الداخلي والعالمي. وهذا الانغلاق لا يمكن مقاومته إلا بالفكر النقدي الذي تمنحه الفلسفة، لا بوصفها بديلاً للدين، بل معيناً على تعقله وممارسته بشكل متزن.

خاتمة

إن الفلسفة ليست نقيضاً للدين، بل هي شريك في رحلة الكشف عن المعنى. هي تدفعنا للتساؤل، لا للشك العدمي؛ للتأمل، لا للإنكار؛ للفهم، لا للتلقين. ومن هذا المنطلق، فإن تعقل الدين وترشيد السلوك الديني لا يكون إلا بعقل متفلسف، وقلب مؤمن، وروح تسعى إلى الحقيقة.

المراجع المقترحة:

1. ابن رشد، فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال

2. الكندي، رسائل فلسفية

3. الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة

4. الغزالي، إحياء علوم الدين

5. عبد الرحمن بدوي، تاريخ الفلسفة الإسلامية

العلاقة التفاعلية والتكاملية بين الفلسفة والعلم

تمهيد

تُعد العلاقة بين الفلسفة والعلم من أبرز الموضوعات التي شغلت الفكر الإنساني عبر العصور. فبينما تسعى الفلسفة إلى فهم الوجود والمعرفة والقيم من خلال التأمل العقلي، يهدف العلم إلى تفسير الظواهر الطبيعية عبر المنهج التجريبي والتحقق. ورغم اختلاف مناهجهما، إلا أن العلاقة بينهما ليست علاقة تنافر، بل هي علاقة تفاعل وتكامل، حيث يُسهم كل منهما في إثراء الآخر.

أولاً: الفلسفة والعلم – تحديد المفاهيم

الفلسفة، في معناها العام، هي السعي نحو الحكمة، وتُعنى بالتساؤلات الكبرى حول الوجود والمعرفة والقيم. أما العلم، فهو منهج منظم يعتمد على الملاحظة والتجربة لصياغة النظريات والقوانين التي تفسر الظواهر الطبيعية. ورغم هذا التمايز، فإن الفلسفة والعلم يشتركان في هدف مشترك: فهم العالم والإنسان.

ثانياً: الفلسفة كأساس للعلم

تُعد الفلسفة الأم الحاضنة للعلم، حيث نشأت العلوم الطبيعية من رحم الفلسفة. ففي العصور القديمة، لم يكن هناك فصل بين الفيلسوف والعالم، كما في حالة أرسطو الذي أسهم في مجالات متعددة كالـميتافيزيقا والفيزياء والأحياء. ومع تطور المعرفة، بدأت العلوم تستقل عن الفلسفة، لكنها لم تتفصل عنها تمامًا، بل ظلت الفلسفة تقدم الإطار النظري والنقدي للعلم.

ثالثًا: فلسفة العلم - جسر التواصل

نشأت فلسفة العلم كمجال متخصص يدرس الأسس والمناهج والافتراضات التي يقوم عليها العلم. وتهدف فلسفة العلم إلى تحليل المفاهيم العلمية، وتقييم مناهج البحث، وفهم طبيعة التفسير العلمي. وقد أسهم فلاسفة مثل كارل بوبر وتوماس كون في تطوير هذا المجال، حيث قدم بوبر مفهوم "القابلية للتكذيب" كمعيار لعلمية النظريات، بينما ركز كون على "الثورات العلمية" وتحول النماذج المعرفية.

رابعًا: التفاعل بين الفلسفة والـعلم في العصر الحديث

في العصر الحديث، شهدت العلاقة بين الفلسفة والـعلم تطورًا ملحوظًا. فقد أسهمت الفلسفة في توجيه البحث العلمي من خلال طرح الأسئلة الأساسية حول طبيعة الواقع والمعرفة. وفي المقابل، أثرت الاكتشافات العلمية في الفلسفة، حيث دفعت إلى إعادة النظر في مفاهيم مثل السببية والحتمية والزمان والمكان. ومن الأمثلة على هذا التفاعل، تأثير نظرية النسبية وميكانيكا الكم على الفلسفة، حيث تحدث هذه النظريات المفاهيم التقليدية للزمان والمكان والموضوعية.

خامساً: التكامل بين الفلسفة والعلم - نحو رؤية شاملة

إن التكامل بين الفلسفة والعلم يُسهم في بناء رؤية شاملة للواقع، حيث توفر الفلسفة الإطار النظري والنقدي، بينما يقدم العلم الأدلة التجريبية والتطبيقات العملية. ويُعد هذا التكامل ضرورياً لمواجهة التحديات المعقدة التي تواجه الإنسانية، مثل القضايا الأخلاقية المرتبطة بالتكنولوجيا والبيئة والطب. فمن خلال التعاون بين الفلاسفة والعلماء، يمكن تطوير حلول مستدامة ومبنية على فهم عميق للواقع.

إذن تُظهر العلاقة بين الفلسفة والعلم تفاعلاً وتكاملاً مستمرين، حيث يُسهم كل منهما في إثراء الآخر. فالفلسفة تقدم الأسس النظرية والنقدية للعلم، بينما يمد العلم الفلسفة بالمعطيات التجريبية والتطبيقات العملية. ومن خلال هذا التفاعل، يمكن تحقيق فهم أعمق للواقع، وتطوير حلول فعالة للتحديات المعاصرة.

المراجع المقترحة

بوبر، كارل: *منطق الاكتشاف العلمي*. ترجمة: فؤاد زكريا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.

توماس كون: *بنية الثورات العلمية*. ترجمة: فؤاد زكريا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

الرازبي، أحمد. "العلاقة بين الفلسفة والعلم". *مجلة الفكر الفلسفي*، العدد 12، 2010.

سعيد، محمد. "فلسفة العلم وتطور المعرفة". *مجلة العلوم الإنسانية*، العدد 8، 2015.

الفلسفة والحضارة

تمهيد: لم تكن الفلسفة يوماً ترفاً فكرياً، بل هي القوة الهادئة التي تحرّك جذور الحضارات. إنها العقل المفكر خلف السلوك الجمعي، والمحرّك الخفي الذي يضبط اتجاه الفكر والمعرفة في مسيرة الأمم. فالحضارة ليست مجرد مظاهر عمرانية أو مادية، بل هي منظومة متكاملة من القيم، والمعرفة، والرؤية الكونية – وهذه لا تُبنى دون رؤية فلسفية تؤصل لها وتوجهها.

أولاً: مفهوم الحضارة في ضوء الفلسفة

في اللغة، الحضارة مشتقة من "الحضر" ضد "البدو"، وتحيل إلى الاستقرار والرفق. أما في الاصطلاح، فهي مجموع النتائج المادي والروحي لمجتمع معين في حقبة زمنية ما. أما الفلسفة، فهي حسب تعريف أفلاطون: "حب الحكمة، والسعي الدائم إلى معرفة الحقيقة". وبهذا المعنى، تكون الحضارة مظهرًا للفلسفة، وتكون الفلسفة روح الحضارة. يقول مالك بن نبي:

"إن كل حضارة في بدايتها كانت فكرة"¹.

ثانياً: الفلسفة كأرضية تأسيسية للحضارة

الفلسفة تمثل أداة النقد والفرز لما تنتجه المجتمعات من أفكار وسلوكيات ومؤسسات. فهي تُسهم في الحضارة من خلال:

تحديد الرؤية الكونية: كيف يرى الإنسان نفسه، والعالم، والغاية من الوجود؟

إرساء مفاهيم القيم: مثل العدالة، الحرية، الخير، والحق.

صياغة نظم التفكير: الفلسفة تُنمّي المنهج العقلي، الذي هو أساس العلم والسياسة والاقتصاد.

تاريخياً، شكّلت الفلسفة اليونانية قاعدة صلبة لحضارات البحر الأبيض المتوسط، كما مثّلت الفلسفة الإسلامية (الكندي، الفارابي، ابن رشد) حجر الزاوية في النهضة العلمية والثقافية في العالم الإسلامي، وانتقل إشعاعها إلى أوروبا لتغذي النهضة الغربية.

ثالثاً: الحضارة كنتاج فلسفي وتاريخي

الحضارة لا تنشأ في الفراغ، بل تتبع من تراكم فكري عميق. فالفلسفة توقّر اللغة النظرية لفهم التاريخ، وتحليل القيم التي تحكم الشعوب، ونقد المسلمات. على سبيل المثال:

فلسفة الأنوار في أوروبا وضعت أسس الحداثة والعقلانية والعلمانية، وأسهمت في بناء حضارة حديثة قائمة على الفردانية وحقوق الإنسان.

في المقابل، **الفلسفة الإسلامية** عززت مفاهيم مثل التوحيد، والعقل، والاجتهاد، فأسهمت في قيام حضارة معرفية علمية متينة.

يقول أرنولد توينبي:

"إن الحضارات لا تتهار إلا عندما تفقد قدرتها على التجدد الفكري"².

رابعاً: التفاعل الجدلي بين الفلسفة والحضارة

العلاقة بين الفلسفة والحضارة ليست أحادية الاتجاه، بل علاقة تفاعلية جدلية:

الفلسفة تُسهم في بناء الحضارة وتوجيه مسارها.

في المقابل، التحولات الحضارية الكبرى تُنتج فلسفات جديدة تناسب متغيرات الواقع. فمثلاً، أدت الثورة الصناعية إلى ظهور فلسفات مادية وبرجماتية جديدة (كالماركسية، الوضعية المنطقية)، بينما دفعت الأزمة الكونية في القرن العشرين فلاسفة الوجودية للتفكير في العبث والمعنى.

خامساً: الفلسفة والحضارة المعاصرة – أزمة المعنى

في العصر الحديث، ومع تسارع التطور التكنولوجي والعلمي، تواجه الحضارة المعاصرة فراغاً فلسفياً، حيث تُهيمن الآلة على الإنسان، وتُفكك القيم التقليدية. هنا تظهر حاجة ملحة إلى عودة الفلسفة، ليس بوصفها تأملاً نظرياً فحسب، بل كأداة لإنقاذ الحضارة من الانحدار الأخلاقي وفقدان المعنى.

يقول مارتين هايدغر:

"العلم لا يُفكر... الفلسفة هي ما يُعيد للعلم جذوره الأنطولوجية"³.

خاتمة

تؤكد التجارب التاريخية أن الحضارة بلا فلسفة، جسد بلا روح. فالفلسفة لا تبني الجدران، لكنها تُحدّد لماذا نبني، ولمن، وبأي معنى. وبذلك تكون العلاقة بين الفلسفة والحضارة علاقة تكوينية، نقدية، وتكاملية، تُعيد توجيه مسار الإنسانية نحو الحكمة والكرامة والمعنى.

الهوامش والمراجع:

عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، دار الجيل، بيروت، 1984.

طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، 2000.

حسن حنفي، مقدمات في علم الاستغراب، دار قباء، القاهرة، 1997.

الفلسفة والتربية - جدلية الفكر والتكوين

تمهيد

لطالما كانت العلاقة بين الفلسفة والتربية من العلاقات الجوهرية في تاريخ الفكر الإنساني، إذ لا يمكن تصور العملية التربوية بمعزل عن تأطير فلسفي يوجهها، كما لا تكتمل الفلسفة في بعدها العملي إلا عندما تتحول إلى مشروع تربوي يُشكّل الإنسان والمجتمع.

إن الفلسفة تُفكر في غاية الإنسان، والتربية تعمل على تحقيق تلك الغاية عبر التكوين والبناء.

أولاً: الفلسفة والتربية - تحديد المفاهيم

الفلسفة: الفلسفة هي نشاط عقلي تأملي يسعى إلى البحث عن الحقيقة والمعنى، وتتعلق بمفاهيم كبرى مثل الوجود، المعرفة، القيم، والحرية. وقد قال أفلاطون إن الفلسفة هي: "أمّ العلوم ومربية النفوس".¹

التربية: التربية هي عملية شمولية تهدف إلى تنمية قدرات الفرد جسمياً، وعقلياً، وأخلاقياً، واجتماعياً. وقد عرّفها **جون ديوي** بأنها: "إعادة بناء الخبرة بشكل مستمر لإعطائها معنى اجتماعياً وشخصياً".²

ثانياً: الجذور الفلسفية للفكر التربوي

منذ سقراط الذي دعا إلى تربية العقل بالنقاش والسؤال، وأفلاطون الذي أسّس أكاديميته لتخريج الفلاسفة المربين، وأرسطو الذي رأى أن الإنسان لا يُرى إلا في المدينة، كانت التربية محوراً من محاور الفكر الفلسفي. واستمر هذا الاهتمام عند الفارابي وابن سينا في الفكر الإسلامي، حيث ربطوا بين التربية والفضيلة، وجعلوا من العلوم وسيلة لتهذيب النفس، لا مجرد تحصيل للمعرفة.

ثالثاً: الفلسفة كتأطير للتربية

تلعب الفلسفة دوراً أساسياً في تحديد الأسس النظرية للتربية، ويمكن تلخيص هذا الدور في النقاط التالية:

تحديد الغايات: ما الهدف من التربية؟ هل هو بناء المواطن؟ أم إنتاج العامل؟ أم تكوين الإنسان الأخلاقي؟

تحليل المفاهيم التربوية: مثل الحرية، السلطة، العقاب، الطاعة، الإبداع.

نقد المناهج: الفلسفة تُمكننا من مساءلة الطرق التربوية، وتقييم مدى انسجامها مع الكرامة الإنسانية.

وقد اعتبر إيمانويل كانط أن: "الإنسان لا يصبح إنسانًا إلا بالتربية".³

رابعًا: التربية كتحقيق للفلسفة

ليست الفلسفة مجرد تنظير، بل هي مشروع للإنجاز والتحقيق، ولا تجد الفلسفة مجالًا أخصب من التربية لتجسيد رؤيتها للإنسان والعالم. التربية هي الوسيلة التي تُمكن الفلسفة من التحول إلى ممارسة اجتماعية وأخلاقية. فعندما ندعو إلى العدالة، والحرية، والعقلانية، فإننا لا نحققها إلا عبر تربية تُرسخ هذه القيم في الفرد منذ الصغر.

في هذا السياق، دعا جون ديوي إلى "دمقرطة المدرسة"، وجعل منها نموذجًا مصغرًا للمجتمع الذي نريد بناءه.⁴

خامسًا: الاتجاهات الفلسفية الكبرى في الفكر التربوي

الاتجاه الفلسفي	أثره في التربية
الفلسفة المثالية	التركيز على القيم والأفكار العليا، والتربية الأخلاقية
الفلسفة الواقعية	التأكيد على الطبيعة والملاحظة والتجربة
البرجماتية	التركيز على التعلم بالممارسة، والربط بين المدرسة والحياة
الوجودية	التركيز على الحرية الفردية، والمسؤولية الشخصية في التربية

سادسًا: التحديات الراهنة – الحاجة إلى فلسفة تربوية

في ظل الأزمات العالمية (البيئة، التكنولوجيا، فقدان المعنى)، تواجه التربية معضلة كبرى: إلى أين نرَبِّي؟ ولماذا؟ وهنا يظهر دور الفلسفة من جديد، لإعادة مساءلة الأهداف، وإعادة بناء المناهج والقيم بما ينسجم مع كرامة الإنسان واستدامة الحياة. "لا يمكن أن نُغيّر العالم ما لم نُغيّر الإنسان، ولا نُغيّر الإنسان إلا بالتربية، ولا نُربي إلا بالفلسفة." - (طه عبد الرحمن، سؤال التربية)⁵

خاتمة

ليست الفلسفة والتربية مجالين متوازيين، بل هما وجهان لمسار إنساني واحد: مسار يهدف إلى بناء إنسان حر، عاقل، وفاعل. فالفلسفة تمنح التربية المعنى والغاية، والتربية تمنح الفلسفة المجال للتحقق والتجسيد. ومن هذا التفاعل الخلاق، تولد المجتمعات القادرة على التقدم والفهم والإنسانية.

المراجع والهوامش

- أفلاطون، الجمهورية. ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2005 .
- كانط، تأملات في التربية. ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، 1990 .
- ديوي، الديمقراطية والتربية. ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994 .
- طه عبد الرحمن، سؤال التربية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003 .

الفلسفة وترشيد الفعل السياسي: دور الفلسفة في تكوين المجتمع المدني

تمهيد

تُمارس الفلسفة منذ نشأتها أدوارًا تأسيسية في تنظيم الحياة العامة، وبناء تصور عقلائي حول السلطة، والمجتمع، والعلاقات الإنسانية. ولم تكن السياسة يومًا مجرد ساحة للصراع أو إدارة المصالح، بل هي فعل إنساني قيمي يتطلب عقلًا ناقدًا وبوصلة أخلاقية. وهنا تتدخل الفلسفة لا لتكون بديلاً عن السياسة، بل لتكون مرشدًا ومقومًا لها، ومن خلالها يتشكل ما نسميه اليوم بـ"المجتمع المدني"، أي تلك المساحة الوسيطة بين الدولة والفرد، التي تنمو فيها المواطنة، وتُصان فيها الحقوق.

أولاً: تعريف الفعل السياسي والمجتمع المدني فلسفيًا

الفعل السياسي هو كل ممارسة جماعية أو فردية تستهدف تنظيم الشأن العام، سواء من خلال السلطة أو المشاركة أو النقد، وهو يتطلب وعيًا بالقيم والغايات. أما المجتمع المدني فهو مجال من التنظيمات والمؤسسات غير الحكومية (نقابات، جمعيات، منظمات حقوقية...) التي تجسّد المواطنة الفاعلة، وتمثل صوت الضمير الاجتماعي. وقد عرّفه أنطونيو غرامشي بأنه: "حقل الصراع الإيديولوجي والثقافي الذي يُعبّر فيه المجتمع عن مقاومته للهيمنة"¹.

ثانيًا: الفلسفة كأداة لترشيد الفعل السياسي

الفلسفة لا تقدّم وصفات سياسية مباشرة، لكنها تطرح أسئلة حاسمة حول:

ما العدالة؟

من يملك الحق في الحكم؟

ما حدود السلطة؟

كيف تُبنى شرعية القرار السياسي؟

وبذلك، تساهم في تفكيك الأيديولوجيات وتحرير السياسة من الاستبداد، والتلاعب، والانفعالية.

يقول كارل بوبر: "السياسة العقلانية لا تبدأ بالسلطة، بل تبدأ بطرح السؤال: كيف يمكن الحد من الأذى؟"²

ثالثاً: دور الفلسفة في تكوين المجتمع المدني

لا يمكن أن يُولد مجتمع مدني فعّال دون قاعدة فكرية وفلسفية تتبذ التسلط وتؤمن بالحوار والتعدد. وهنا يأتي دور الفلسفة في النقاط التالية:

1. تأسيس ثقافة السؤال والنقد:

المجتمع المدني لا يُبنى بالامتثال، بل بالنقد، أي عبر مواطن يفكر ويتساءل. وقد علّمنا سقراط أن الفلسفة تبدأ حين نرفض الجهل المريح ونسأل عن الحقيقة مهما كان الثمن.³

2. إعلاء قيمة الإنسان والمواطنة:

الفلسفة الأخلاقية، خصوصاً مع كانط، أرست مبدأ "كرامة الإنسان بوصفه غاية في ذاته"، ما يمهد لفهم حديث للمواطنة يقوم على الحقوق والواجبات لا الطاعة العمياء.⁴

3. تحرير المجال العام من الهيمنة:

الفكر الفلسفي يُفكك آليات القمع الرمزي، ويُدافع عن الحرية، والعدالة، والمشاركة، وهي ركائز أي مجتمع مدني.

4. بناء الوعي التاريخي والسياسي:

الفلسفة تُساعد المواطن على فهم موقعه في التاريخ، ورفض التكرار السلبي، والانخراط في تغيير الواقع عبر الفعل الواعي.

رابعاً: نماذج فلسفية أسهمت في ترشيد السياسة والمجتمع

أفلاطون: في الجمهورية، وضع تصوّراً لمدينة فاضلة يحكمها العقل ويقوم مجتمعها على العدالة.

هيجل: رأى في المجتمع المدني ضرورة لتجاوز تعسف الدولة وحماية حرية الفرد.⁵

جون رولز: قدم مفهوم "العدالة كإنصاف"، كإطار أخلاقي لبناء مجتمع سياسي عادل ومتعدد.⁶

طه عبد الرحمن: سعى إلى تأسيس مجتمع مدني إسلامي يقوم على "التخلق لا التسلط"، و"الانتمانية لا التعاقدية".⁷

خامساً: التحديات المعاصرة – الفلسفة كضرورة

في عصر هيمنة الإعلام والسرعة والانفعال، تعود الفلسفة كـ"ملاذ للعقلانية". إن الاستقطاب، والتطرف، والانتماء الأعمى يهددون المجتمع المدني، ولا يواجهها إلا فكر نقدي أخلاقي.

وهنا تكمن أهمية تدريس الفلسفة، لا في الجامعات فقط، بل في المدارس والمجال العام، لأنها تؤسس:

-مواطنًا حرًا ومسؤولًا

-فكرًا مقاومًا للهيمنة

-وعيًا جمعيًا راقبًا

كما قال حنّـه أرندت: "السياسة بلا فكر تصبح تقنية للسيطرة. أما الفلسفة، فهي التي تضع لها حدود المعنى"⁸.

خاتمة

إن الفعل السياسي لا يكون راشدًا ما لم يُستتر بالفكر الفلسفي، والمجتمع لا يصبح مدنيًا ما لم يُؤسس على قيم العقل، والحرية، والنقد، والمسؤولية. فالفلسفة ليست ترفًا نظريًا، بل هي الشرط الأخلاقي لبقاء السياسة إنسانية، والمجتمع مدنيًا حيًا لا تابعًا ولا منقادًا.

الهوامش والمراجع

أنطونيو غرامشي، *دفاتر السجن*. ترجمة: فواز طرابلسي، دار الفارابي، بيروت، 2006 .

Karl Popper, *The Open Society and Its Enemies*, Routledge, 1945.

أفلاطون، *الدفاع عن سقراط*. ترجمة زكي نجيب محمود، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2004 .

إيمانويل كانط، أسس ميتافيزيقا الأخلاق .ترجمة: عمر الشهابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010 .

هيجل، مبادئ فلسفة الحق .ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 2005 .

John Rawls, *A Theory of Justice*, Harvard University Press, 1971.

طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.

Hannah Arendt, *The Human Condition*, University of Chicago Press, 1958.

الفلسفة والمواطنة الفلسفة وحقوق الإنسان

تمهيد

منذ أن طرح سقراط سؤاله الأول في شوارع أثينا، والفلسفة تحمل همّ الإنسان، تساءلاً عن حريته، كرامته، وعدالته. ومنذ أن خرج الإنسان من طور الجماعة إلى طور الدولة، برزت الحاجة إلى مفهوم المواطنة، بوصفها رابطة قانونية وأخلاقية بين الفرد والمجتمع، تضمن له الحقوق، وتلزمه بالواجبات.

أما حقوق الإنسان، فهي الامتداد الكوني لهذا الوعي، تتجاوز الحدود الجغرافية والانتماءات الضيقة، لترتقي بالكرامة الإنسانية إلى مبدأ لا يقبل التفاوض. وبين هذه المفاهيم الثلاثة: الفلسفة، المواطنة، وحقوق الإنسان، تنسج خيوط علاقة جدلية، أساسها العقل، والقيمة، والحرية.

أولاً: الفلسفة وتأسيس الوعي بالمواطنة

لقد كان للفلسفة، منذ نشأتها، دورٌ جوهري في تأصيل مفهوم المواطنة، بوصفها انتماءً لا يقوم فقط على العرق أو الدم، بل على المشاركة في الحياة العامة، وامتلاك الحس بالمسؤولية.

في أفلاطون، تتجلى المواطنة في المدينة الفاضلة، حيث يؤدي كل فرد دوره في خدمة الكل، وفق العدالة التكوينية.¹

أما أرسطو، فقد اعتبر أن المواطن هو من "يشارك في الحكم ويُحكم"، أي أن المواطنة هي علاقة فاعلة ومسؤولة في تدبير الشأن العام.² من هنا، تكون الفلسفة قد منحت للمواطنة بُعداً أنطولوجياً وأخلاقياً، تتجاوز فيه الانتماء السلبي، لتصبح فعلاً عقلانياً يربط الإنسان بالمجتمع من خلال الحرية الواعية.

ثانياً: الفلسفة وحقوق الإنسان – المسار النقدي

لم يكن الحديث عن حقوق الإنسان وليد إعلان الثورة الفرنسية أو الإعلان العالمي لعام 1948، بل له جذور فلسفية عميقة:

في الرواقية، ظهر تصور أولي للكرامة البشرية باعتبار جميع البشر متساوين أمام "العقل الكوني".

ثم مع جون لوك، تم تأصيل فكرة الحقوق الطبيعية (الحياة، الحرية، الملكية) باعتبارها حقوقاً لا يمنحها الحاكم، بل يضمنها.³

وأكد كانط أن الإنسان "غاية في ذاته"، لا يجوز استخدامه كوسيلة، مما يؤسس لفكرة حقوق الإنسان كقيم غير قابلة للتصرف.⁴

إن الفلسفة، إذن، لا تُشرع الحقوق فقط، بل تسائلها: هل هذه الحقوق عالمية حقاً؟ ما علاقتها بالثقافة؟ ما حدودها في ظل الضرورات الأمنية والاقتصادية؟ هذه الأسئلة تجعل من الفلسفة صوت النقد الأخلاقي والسياسي الدائم في وجه السلط، أكانت دينية أو دنيوية.

ثالثاً: المواطنة وحقوق الإنسان – بين التداخل والتوتر

في حين ترتبط **المواطنة** بسياق الدولة الوطنية، ترتبط **حقوق الإنسان** بأفق كوني يتجاوز الحدود.

وهذا ما يُنتج توترًا بين الانتماء الوطني والحق الكوني:

المواطن في دولة استبدادية قد يُحرَم من حقوق إنسانية أساسية (التعبير، التنقل، المحاكمة العادلة).

وقد تُستخدم "السيادة الوطنية" كذريعة لخرق الحقوق باسم "الخصوصية الثقافية".

هنا تظهر الحاجة إلى **فلسفة حوارية نقدية** تُعيد صياغة العلاقة بين المواطنة وحقوق الإنسان على أساس:

لا مواطنة حقيقية دون احترام الحقوق الأساسية.

ولا حقوق إنسان دون احترام الهويات والتنوع الثقافي.

وقد سعى **هابرماس** إلى بناء هذا الجسر عبر مفهوم "المواطنة التداولية"، حيث يُنتج المواطن القوانين ويخضع لها في آن واحد.⁵

رابعًا: المواطنة في الفكر الفلسفي الإسلامي

في الفلسفة الإسلامية، نجد جذورًا لمفهوم المواطنة وحقوق الإنسان، وإن بصيغ مغايرة. فقد تحدث **الفارابي** عن المدينة الفاضلة التي يُبنى فيها الاجتماع السياسي على الفضيلة والعقل، لا على الغلبة والقوة.⁶

كما أكد **ابن رشد** على ضرورة "اجتماع الحكمة والشرعة"، أي أن السياسة لا تستقيم إلا بالعدل والعقل، وهو أساس المواطنة الحقة.⁷

وفي العصر الحديث، دعا **الكواكبي** إلى تحرير الإنسان من الاستبداد، معتبرًا أن "الاستبداد أصل كل فساد"، وأن الكرامة لا تُصان إلا بوعي سياسي وقانوني يحترم المواطن وحقوقه.⁸

خامسًا: الفلسفة كمدخل تربوي للمواطنة والحقوق

لا يمكن تكوين مواطن حر ومسؤول دون **تربية فلسفية** تُثَمِّي فيه الحس النقدي، والقدرة على الحوار، والوعي بالحقوق والواجبات. فالفلسفة تُعَلِّم الإنسان:

أن يفكر بدل أن يُلقَّن.

أن يحاور بدل أن يعادي.

أن يطلب الحق لا الغلبة.

ومن هنا، تصبح الفلسفة ضرورة **مدنية وتربوية**، وليست مجرد ترف ثقافي.

خاتمة

إن الفلسفة، بوصفها تفكيرًا في القيم والعدالة والحرية، تظلّ الرافعة الأولى لترسيخ **المواطنة الحقة وحقوق الإنسان الكونية**. فمن دون وعي فلسفي، تتحول المواطنة إلى تبعية، وتصبح الحقوق شعارات جوفاء. وحدها الفلسفة، بما تُجسِّده من وعي ونقد ومسؤولية، قادرة على تحصين الإنسان، وتأسيس مجتمع مدني يتجاوز الخوف، ويؤمن بالكرامة المشتركة.

الهوامش والمراجع

أفلاطون، *الجمهورية*. ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2005 .

أرسطو، *السياسة*. ترجمة أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963 .

John Locke, *Two Treatises of Government*, Cambridge University Press, 1988.

إيمانويل كانط، *أسس ميتافيزيقا الأخلاق*. ترجمة عمر الشهابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010 .

Jürgen Habermas, *Between Facts and Norms*, MIT Press, 1996.

الفارابي، *آراء أهل المدينة الفاضلة*. تحقيق: علي بوملحم، دار المشرق، بيروت، 1993 .

ابن رشد، *فصل المقال*. تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 1997 .

عبد الرحمن الكواكبي، *طبائع الاستبداد*. دار الفكر المعاصر، بيروت، ط4، 2007 .

رهانات الفلسفة في المجتمعات العربية والإسلامية

تمهيد

إن الفلسفة ليست ترفاً نظرياً أو حواراً مجرداً عن قضايا ميتافيزيقية بعيدة، بل هي رؤية للعالم، وموقف من الإنسان، وسعي عقلي نحو الحقيقة، والعدل، والمعنى. وفي السياق العربي والإسلامي، تطرح الفلسفة أسئلة مؤرقة ومصيرية: ما موقع العقل في بنية الثقافة؟ كيف نتعامل مع التراث؟ هل يمكن للفكر الفلسفي أن يكون أداة نهضة في ظل الاستبداد والتقليد؟

هذه الأسئلة تضع الفلسفة في قلب رهانات متعددة: معرفية، أخلاقية، سياسية، وجودية، في ظل واقع يعاني من الازدواجية بين الحداثة والتقليد، والانفصام بين الفكر والممارسة.

أولاً: الفلسفة في السياق العربي الإسلامي - من الازدهار إلى الانحسار

عرفت الحضارة الإسلامية، خاصة في العصر الكلاسيكي، ازدهاراً فلسفياً كبيراً، مع أعلام مثل:

الكندي: الذي عدّ الفلسفة "أشرف الصناعات" لارتباطها بالحكمة الإلهية.¹

الفارابي: الذي قدّم رؤية عقلانية شاملة للسياسة والأخلاق والدين في *المدينة الفاضلة*.²

ابن سينا وابن رشد: اللذان دافعا عن إمكان التوفيق بين الحكمة والشريعة.

لكن، سرعان ما واجه الفكر الفلسفي مقاومة من قبل التيارات اللاهوتية والنقلية، خاصة بعد الغزالي في *تهافت الفلاسفة*، مما أدى إلى تحجيم دور العقل الفلسفي، وتراجع تأثيره في البناء الحضاري.

وقد لخص محمد عابد الجابري هذا الانحسار بقوله: "العقل العربي لم يكتفِ بقتل الفلسفة، بل دفنها ولم يُقم لها قبراً".³

ثانياً: الرهانات المعرفية - سؤال العقل والحداثة

في ظل الانبهار بالغرب، وصدمة الحداثة، برز سؤال جوهري: هل يمكن تحقيق نهضة عربية بدون فلسفة؟

الفكر الفلسفي يُطالب بإعادة الاعتبار لـ:

-العقل كأداة للفهم والتمييز.

-الحرية الفكرية كشرط للإبداع.

-النقد كآلية لتحرير الفكر من السكون والتبعية.

وقد دعا طه عبد الرحمن إلى "تجديد الفلسفة الإسلامية" من خلال تفعيل العقل التأملي الإيماني بدل الاستنساخ الكلي للفكر الغربي.⁴

في المقابل، شدد الجابري على ضرورة "نقد العقل العربي" تفكيكاً لبُناهِ المعرفية المغلقة، وإعادة تأسيسه على أسس عقلانية وتاريخية.⁵

ثالثاً: الرهانات السياسية - الفلسفة في مواجهة الاستبداد

من أعظم تحديات الفلسفة في مجتمعاتنا، أنها تُحاصر سياسياً وثقافياً، لأنها تسائل السلطة، وتفكك الأيديولوجيا، وتُحرّر الوعي. وفي بيئة يهيمن فيها القمع والخطاب الواحد، تُصبح الفلسفة مشروعاً مقاوماً، من خلال:

فضح التبريرات الزائفة للسلطة.

الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان.

إعادة الاعتبار للمواطن بوصفه كائناً عاقلاً حرّاً.

وقد كتب عبد الله العروي: "الحداثة لا تُختزل في التكنولوجيا، بل في الوعي بها، وفي قدرتنا على مساءلة السلطة والعقل معاً".⁶

رابعاً: الرهانات التربوية والثقافية - الفلسفة والتعليم

من الرهانات الكبرى اليوم، إدماج الفلسفة في المجال التربوي والثقافي. فمن دون تعليم الفلسفة، وترويج التفكير النقدي، نبقى في دائرة:

التلقين لا التفكير.

الفتوى لا السؤال.

الطاعة لا الحوار.

لذا دعا بول ريكور إلى "تربية الأجيال على التفكير قبل الاعتقاد، والتساؤل قبل التصديق".⁷ وفي هذا السياق، يصبح تدريس الفلسفة ضرورة مدنية وحضارية، لا مجرد خيار ثقافي.

خامساً: الرهان الوجودي - الفلسفة وإرادة المعنى

في مجتمعات مأزومة بالهويات المتصارعة، والمقدسات المتضخمة، والفراغ الروحي، تحتاج الفلسفة إلى أداء دور وجودي:

تمنح الإنسان أفقاً لمعنى وجوده.

تعيد بناء العلاقة بين الذات والعالم.

تنتصر للقيم الكونية: الكرامة، الرحمة، العدل.

وقد كتب مالك بن نبي: "المشكلة ليست في الإسلام، بل في قابلية المسلمين للاستعمار... الفلسفة هنا تحررنا من قابلية القهر"⁸.

خاتمة

إن الرهانات التي تواجه الفلسفة في المجتمعات العربية والإسلامية رهانات وجود وحضارة، تتعلق بمصير العقل، ومكانة الإنسان، وطبيعة الدولة، ومستقبل الثقافة. فمن دون فلسفة، نفقد البوصلة، ونعيد إنتاج الأزمات بأشكال جديدة. لكن بإحياء الفلسفة، نستعيد شرط النهضة، ونبدأ تأسيس المعنى في عالم يميل إلى الفراغ والتهيه.

الهوامش والمراجع

الكندي، رسائل الكندي الفلسفية. تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1950.

الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة. تحقيق: علي بوملح، دار المشرق، بيروت، 1993.

محمد عابد الجابري، *نقد العقل العربي - تكوين العقل العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991 .

طه عبد الرحمن، *تجديد المنهج في تقويم التراث*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994 .

الجابري، *بنية العقل العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986 .

عبد الله العروي، *مفهوم العقل*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996 .

Paul Ricoeur, *La critique et la conviction*, Éditions Calmann-Lévy, 1995.

مالك بن نبي، *شروط النهضة*، دار الفكر، دمشق، 2002 .

خاتمة

إنّ الفلسفة، كما قدّمناها في هذا العمل، ليست مجرد خطاب نظري منعزل عن هموم الإنسان وأسئلته الوجودية، بل هي في جوهرها انخراطٌ دائم في محاولة فهم الذات والعالم، وتشبيد المعنى في قلب اللامعنى، وتثبيت العقل في مواجهة التيه والتناقض.

لقد رأينا كيف نشأت الفلسفة من رحم الدهشة الأولى، من تساؤلات الإنسان البدائي أمام الكون والموت والقدر، قبل أن تتخذ طابعاً منهجياً صارماً مع مفكّري اليونان، وتتحوّل إلى أداة نقد وتفكير وبناء، تسائل الواقع بدل أن تدّعي له، وتخترق الظاهر نحو الأعماق.

ولم يكن هذا الفكر ليبقى رهين القاعات الأكاديمية أو النصوص المغلقة، بل امتدّ ليؤثر في العلم والدين، والسياسة والتربية، والثقافة والحضارة. فالفلسفة لا تسكن الكتب فقط، بل تسكن الإنسان حين يسأل "لماذا؟"، وحين يطلب الحقيقة لا كمسلّمة جاهزة، بل كمشروع دائم للبحث والارتقاء.

لقد توقفنا عند المفاهيم الأساسية، من الدلالة الاشتقاقية إلى المفاهيم الاصطلاحية، ووقفنا على خصائص التفكير الفلسفي، تلك التي تميّزه بالكلية، والتجريد، والتساؤل النقدي، والانفتاح على إمكانيات غير نهائية من التأويل والفهم.

كما تناولنا كيف استطاعت الفلسفة أن تتجاوز الفكر الأسطوري، لا عبر القطع معه، بل عبر تعقّل رمزيّاته، وتحويل الدهشة إلى سؤال منهجي، والعفوية إلى معرفة نقدية. ومن خلال ذلك، بيّنا كيف تتشابك الفلسفة مع الثقافة والطبيعة، فتعلّمنا أن الإنسان ليس خارج العالم، بل هو في قلبه، يعيد تشكيله عبر التأمل والفهم والمساءلة.

وقد تبيّنت لنا العلاقة المعقّدة والمبدعة بين الفلسفة والعلم، بين العقلانية المجردة والتجريبية الدقيقة، ثمّ تعمّقنا في التفاعل بين الفلسفة والدين، فوجدنا أن الفلسفة لا تناقض الإيمان، بل تُضيء طريقه، وتطهّره من التعصّب والجمود، وتفتح أمامه أفقًا عقلائيًا رحبًا لفهم النص، والحكمة، والغاية من الوجود.

ثمّ كان لا بدّ من التوقّف عند أثر الفلسفة في بناء الحضارة، وفي رسم معالم الفكر التربوي، وتكوين الذات المواطنة، الفاعلة، الناقدة. فالفلسفة ليست ترفًا نظريًا، بل هي روح المقاومة ضد الاستبداد، وضد الانغلاق الهويّاتي، وضد النسيان.

وقد بيّنا كيف يمكن للفلسفة أن ترشّد الفعل السياسي، وتؤسّس لمجتمع مدني قائم على التعدد، والحوار، والعدالة. كما أنّها، حين تقتنن بالمواطنة وحقوق الإنسان، تصبح حاملة لقيم كونية تسمو فوق الانتماءات الضيقة، وتؤسّس لإنسانية جامعة تُعلي من شأن العقل، والحرية، والكرامة.

وأخيرًا، خصّصنا تأملًا في رهانات الفلسفة داخل المجتمعات العربية والإسلامية، هذه المجتمعات التي لا تزال في صراع دائم بين التراث والحداثة، بين الأصالة والمعاصرة. ولعلّ أهم ما يمكن أن تقدّمه الفلسفة هنا هو بناء ذاتٍ حرة، نقدية، متصالحة مع تراثها، ومنفتحة على العالم، قادرة على التفاعل لا التلقّي، وعلى الإبداع لا الاستهلاك.

إنّ الفلسفة ليست نهاية، بل بداية دائمة. إنّها الأفق الذي لا يُحدّ، والرحلة التي لا تتوقّف. ومن يدخلها لا يعود كما كان، لأنّها تغيّر نظرتنا إلى كل شيء: إلى أنفسنا، إلى

الآخر، إلى الحياة والموت، وإلى الله نفسه. فالفلسفة ليست ترفاً... الفلسفة هي الحياة، حين نفهمها، وحين نحياها.